الفكرة العابرة

لنيل

سعادتي الدنيا و الآخرة

إعداد الراجي عفو ربه ومولاه

قاسم بن حسن بن قاسم بن أحمد السراجي

عفى الله عنهم آمين اللهم آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

كنت دائماً أفكر عند القراءة . عند المطالعة . بل عند جميع عباداتي ومعاملاتي الدينية والدنيوية . سيما عند أداء الصلاة جماعة في المسجد

صارت أوقاتي كلها تفكير.

عماذا أفكر ياترى ؟!!

أفكر لاعن خيال ووسوسة شيطان

أنما أفكر فيما يجب أن يفكر فيه كل مسلم, يقرأ القرآن أو يسمعه بل يمعن عند قراءته أو سماعه أو تدبره

(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد:24]

(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر:17]

إذاً أنا أطير في تفكيري إلى الماضين من السلف لأسألهم هل فكروا فيما أفكر فيه؟!

هل تدبروا وأمعنوا النظر في أيات الكتاب العزيز؟!

قد بحثت وتتبعت وسألت التاريخ وتحققت فوجدت خيرا.

وجدتهم قد نظروا وأمعنوا وفكروا بل حققوا فأبحث وسل «إن في قصصهم عبرة». وكانت تلك إجابتهم.

لكنني في عصر لم أجد ذلك, فكن أنت عزيزي القارئ معي في الفكرة

فهل أنت معي في الفكرة؟!!

كيف أكون معك ولم أعرف أمراً أو أجد خلّة ؟ (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) [يوسف:53]

قلت: أما الخلة فلا سبيل اليها فهي نقص ومذمة. ولكن إذا أردت بذلك ما تجد به فرصة للفهم, فلا عليك.

فهيا هيا لنسير معاً في طريق تعرفنا الأمر كله ونجد الفرصة.

ولنبدأ الحقيقة لنفهم ذلك كله بتمهيد تساءلات

تساءلات

يا أمة الإسلام: أخبرونا عن دينكم هل أنتم عليه أم أنها لبسة؟!!

بلى إنها للبسة وأي لبسة.

أخشى أن تشابه أهل الكتاب حينما ألبسو على الناس أمر الحق بالباطل

(يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِـمَ تَلْبِسُـونَ الْحَـقَّ بِالْبَاطِـلِ وَتَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَأَنْـتُمْ تَعْلَمُـونَ)[آل عمران:71]

أليس في القرآن الكريم ما يكشف كل شبهة ويذهب أي لبسة؟!!

بلى . بلى والله . بلى والله

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء:9]

(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) [القيامة:18]

(وَالَّـذِينَ يُمَسِّـكُونَ بِالْكِتَـابِ وَأَقَـامُوا الصَّـلَاةَ إِنَّـا لَـا نُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُصْـلِحِينَ) [الأعراف:170]

(الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة:1, 2]

(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [هود:120]

(الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [إبراهيم:1]

(وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلَـا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَـبِيلِهِ) [الأنعام:153]

آيات عظيمة لكننا أعرضنا عنها

كيف أعرضنا عن التشريع الإلهي والدستور الخالد الذي لا نستطيع أن نحيا الحياة السعيدة , الحياة التي ترضي ربنا جل جلاله إلا به

إعراضنا عن المنهج الخالد والكلام الرباني لم يكن عن قرأته

لم تكن الشكوى النبوية بالإعراض عن قراءته

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان:30]

فعن أي شيء إذاً؟؟

إننا أعرضنا عن التطبيق عن العمل بما فيه

كل ما قرأنا أية من الأيات القرانية المباركة التي فيها الهدى والنور

لاننظر أننا المخاطبون بها, بل نرى أنها أية تلزم غيرنا

فإذا تدبرت أية نقمت على المسلمين عدم العمل بها

ولنسأل الناقم: هل أنت عملت بهذه الأيه حتى وجهت الملام على غيرك؟؟!

فيجيب علينا بقوله: هذه الأية أو الأيات تحتاج إلى الكثير من الناس عند تطبيقها لا يقدر عليها الفرد الواحد, بل ربما أن معظمها -أي الأيات- هي من لوازم ولاة الأمر.

نجيب عليه بقولنا: كل فرد من الأفراد هكذا يوجه اللوم إلى غيره, فهذا عذر غير مقبول ولكن ليتضح لنا سر التقصير بجميع جوانبه نأخذ مثلاً على هذا اللوم الجماعي

مثل يلزم الخاص والعام

نضرب مثلاً بآية واخدة ليتحتم علينا الخطاب, وأن كل مسلم مسئول عن كل أمر لم يعمل به أو نهي لم يتجنبه

وذلك في قول الله تعالى (كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) [الفجر:17, 18]

هل طبقنا هذه الأية؟! لنناقش الفرد الواحد عنها

هل أعنتَ المسكين, واهتميت بأمره أو شأنه؟!!

جارك المسكين, جارك المريض, جارك الضعيف, جارك الجائع. دع عنك البعيد. هل طبقتَ هذه الأية في هذه المواقف؟!!!

هل من جواب؟!

ليس من جواب إلا أنني لا أستطيع وحدي أن أعين ضعيفاً, لاأستطيع,..

كيف يكون ذلك. وأنا مثلُهُ, مسكين ضعيف. كل واحد منا يدبر نفسه وحاله وأهله

إذاً فالجميع هكذا يتقاعسون عن العمل.

كيف لاتستطيع إعانة المسكين إذا كان مريضاً أو عند حاجة أو حائحة

أتتركه وهو جارك بل هو أخوك المسلم الذي يجب إعانته وقضاء حاجته؟!

لازال الناقم مُصراً على قوله: أنا لا أستطيع وحدي. لست مخاطبا بهذه الأية كما قلتُ لك.

قلت: تأمل أخي المؤمن ستجد أن الأية قد أرشدت إلى الحل القويم لو تأملت

إنها تقول (وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) فهي تنظر إليك, وأنك وحدك لن تستطيع أن تخدم غيرك من المساكين

لكنها توجهك بأن تقوم بما تستطيع وهو أن تحض على طعام المسكين, وأن تدعوا الناس وتحضهم على فعل الخير فتدفعهم جميعاً أو غالباً إلى الإعانة ولو باليسير, فمن القليل خير كثير بالبركة العظيمة

فأنت إذاً مستطيع. أليس كذلك؟!!

إن الأية موجهة إليك وإلى كل شخص مسلم يؤمن أن هذا القرآن من عند الله أنزله الله على رسوله.

فعليك أن تقوم بواجبك لتجد خيراً بالنصح والإرشاد.

وستلاحظ أن ديننا الحنيف قد عالج الأوضاع كلها وحل المشاكل بأسرها.

وذلك بالنصح, "وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

*نعود أيها المسلمون الموحدون إلى الفكرة التي نتحدث عنها والتي نفكر ما هي؟!!

لكننا نتسأل قبل ذلك.

هل تكفي الصلاة والصيام ونحوهما؟!

هل الإهتمام كله ليس إلا أداء تلك فقط!!

هل طلب العلم الشريف يكفينا أن نتعلمه فحسب؟

أي لا نستطيع أن نعمل بما علمنا!!!

تساءلات كثيرة تهمنا ولكن عند الإجابة عليها

نقول: لابد أن نفهم الهدف من صلاتنا وصيامنا بل الهدف من الإرتباط بالله سبحانه بهذه الواجبات

- **الحل عزيزي**

عزيزي القارئ: الحل هو أن الصلاة والصيام وسائر الواجبات العظيمة التي كلفنا حتماً بأدائها لا تدوم وتظل على ممر العصور والأزمان, وتصل إلى الأجيال كما أمر الله إلا إذا حافظنا عليها بواجب «الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر»

ذلك هو الحل. لماذا؟

لأنهما أمران عظيمان ودعامتان للدين أكيدتان

نجتمع لكل صلاة. لنكون إخوة متحابين في الله, لنحب في الله, لنبغض في الله

ليسأل بعضنا عن بعض, لنوجد حلاً لمشاكلنا كلها سيما مايهم أمر الدين.

لكن الحل لن يكون ممن هذا حاله إلا إذا استشعر بوجوب الدعامتين العظيمتين وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف

فهيا لنقل الحق ولو كان مرا

نترك الكذب ونتجنب الكذابين, نتحرى الصدق ونكون مع أهل الصدق (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة:119]

فإذا اعترفتَ هذا عرفتَ أن واجب المصلي الصائم كبير جداً, وأمره عظيم, وشأنه خطير.

سبب الإستخلاف

لأن الله سبحانه إنما استخلف الإنسان على الأرض التي خلقها وهيئها لإقامة دينه الحنيف قال جل شأنه (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) [طه:123]

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [النور:55]

وقال الله لنبيه داود (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) [ص:26]

وقال الله لنبيه إبراهيم (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة:124]

فأعطاه الله العهد وهو الإستخلاف , وأعطا ذريته ما لم يكونوا ظالمين, فلا ولاية لهم من الله, ولاعهد لهم في ذمة أحد من المسلمين إذا كان هذا حالهم لأن الله استخلفهم لعبادته (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]

هذه قضايا مهمة يجب على المسلم أياً كان أن لا يتحاشاها ويلقي حبلها على غاربها ويتجنب شأنها ليكن أمراً بالمعروف ناهٍ عن منكر

نداء للأمة

أمة الإسلام: ماهو الحل؟؟

وفلسطين في عذاب وقتل وأسر في ضياع من قبل الصهاينة

والعراق محتلة من قبل أمريكا وإسرائيل

اليهود, النصارى, الكفار مللٌ مختلفة تتحد على إبادة الإسلام

على انتحال ديانة جديدة غير ديانة الإسلام, غير القرآن

ذلك هو الداء المسمى بـ «الإرهاب»

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

لأن الله يقول (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران:85]

لأن الجهاد هو نداء الإسلام إلى أهله, لأن القرآن هو الصرخة المدمرة على كل ظالم باغ, على كل كافر مشرك

قالوا أو يقولون: إذا كان القرآن بأيدي المسلمين فلن نستطيع استبعادهم

أو استعمارهم لماذا؟

لأنه دين, لأنه قرآن يدعوا إلى العزة إلى الشهامة, لا خضوع ولا ذلة (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا) [التوبة:40]

يدعوهم إلى الشهادة وإلى دار هي دار الكرامة

ما الفارق

فارق بعيد وسلم صعب شديد بين من يدعوا إلى دنيا غراره وزخارف فتانه

وبين من يدعوا إلى دار مقيم, إلى دار الخلود والنعيم, إلى دار الأبدية والبقاء.

وبينما أن الله وصف حال الكافرين بقوله (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) [البقرة:96]

لم يقل على الحياة بل نكرها فقال (عَلَى حَيَاةٍ) لتشمل كل ما يسمى حياة أو من شأنه الحياة فهم يكرهون الموت لأن الحياة ستنتهي وهكذا....

وبين المؤمن الذي يريد حياة لا تنتهي, حياة لا هم فيها ولا تعب

حياة يقول الله فيها (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى:17] (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) [العنكبوت:64]

ويحذر الله المؤمن من الدنيا وزينتها مقارناً لها في البحور مع الأخرة حيث قال (أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [التوبة:38]

لقد سمى الحياة لعباً ولهواً في أكثر من آية .... هكذا يعلمنا القرآن.

لقد حبب الله عباده المؤمنين وأوليائه المتقين إلى نيل «الشهادة»

وأعد لمن نالها أعلى وأنبل وأسمى دور الكرامة

إذاً هناك فارق كبير, بل إننا لنجد الله تعالى وقد وصف لنا الفارق بيننا وبين أعدائه الذين هم أعدائنا حال اللقاء معهم بقول عز سلطانه (فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) [النساء:104]

هذا أمر لاجدال فيه ولكن إذا استوينا في الألم ففي أي شيء يكون الفارق؟؟

يوضحه عز وجل بقوله (وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) [النساء:104]

هذا هو الفارق . هدفكم يا مؤمنون الجنة أعدَّها لكم ربكم, أما أعداء الله فهدفهم هي الحياة الدنيا, وقد انتهت بقتلهم والقضاء عليهم.

وفي هذا الفارق يتضح لنا أن في قوله (فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) فارقاً واضحاً فإذا كانت أجسامكم وأحوالكم كلها تتأثر بالقتال فتتألم لكن ألمكم ليس كألمهم لأنكم ترجون من ذلك ثواباً وفوزاً وشهادة وحياة أبدية وأما هم فألمهم سيفقد معنوياتهم لأن هدفهم أصبح خاسراً , وحياتهم قد أوشكت على النهاية, فيزداد المؤمن بذلك همة وقوة والعدو إلى الخسران والدمار والإنهيار

لو تأملنا ذلك لعرفنا واجبنا.

لو فهمنا, لو عرفنا, ما صارت دولة إسلامية محتلة من قبل الكافر المشرك.

لما سادوا, لما أخذوا فلسطين والعراق وأفغانستان .... وغيرها

بل صارت الدول الأخرى مستهدفة بل مهددة بالإحتلال بالإستعباد لماذا؟؟

لأن المسلمين تركوا دينهم, تخلوا عن الحفاظ عليه, عن القيام به.

أمـروا بالجهـاد فـي سـبيل الله بـأموالهم وأنفسـهم (فَـأَبَى أَكْثَـرُ النَّـاسِ إِلَّـا كُفُـورًا) [الفرقان:50]

لما ابتعدوا عن تعليم كتاب الله وحكمه ذلو وانهاروا واستعبدهم عدوهم وهذا

قد حرمه دينهم عليهم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) [هود:17]

ألـم نسـمع سـوياً كيـف يقـول الله ربنـا جـل جلالـه وعـز سـلطانه (وَلَـنْ يَجْعَـلَ اللَّـهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء:141]

والذي نلاحظه أن الكافرين قد وجدوا السبيل فدخلوا فما هذه الطريق التـي حرمهـا الله تعالى عليهم؟؟؟

!

إنما حرم الله السيطرة وامنع للكافرين على عباده وأوليائه المؤمنين حقاً

لأن المؤمن لن و لن يسيطر عليه كافر لا يكون ذلك أبدا

لكننا تركنا الدين وصرنا نلبسه لبسة فقط, نحمله في البطاقة,

صار الإسلام اسماً والقرآن رسماً

ذلك أننا تركنا طريق الإسلام, لم نحل ما أحل الله ونحرم ما حرمه علينا

بل أطماع الدنيا جعلتنا نحل لأنفسنا الحرام ونزينه ونمتنع عن أداء مـا افترض الله علينا من الجهاد في سبيله والذي يدخل تحت مسماه الأمر بـالمعروف والنهـي عن المنكر المخوف

فلذلك صرنا تحت ولايـة الكـافرين, لقد تسلطوا علينـا, وسيظل الكـافر يعمل دؤبـاً على إنجاح مهمته وهي «أبيدوا الإسلام,, أبيدوا القرآن ,, أبيدوا أهله»

ونحن نقول لهم: سمعاً وطاعه. (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)

ونحن نقول لديننا الإسلامي: (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)

هل أمرنا بهذا؟!! عجب العجاب!!

هل نحن مؤمنون؟!!!

أمة الإسلام: نحن لو تناهينا عن الفساد وأنهينا المنكرات لمـا وقعنـا فيمـا وقعنـا فيـه فيوشك أن يصيبنا الله بعذاب من عنده ونخسر الـدنيا والأخـرة وذلـك هو الخسـران المبين

وإن لم تكن الاية (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء:141]

إنشـأ فإنهـا إخبـار إلهـي بـأن الله لـن يسـلط علينـا كـافر ولـن يتسـلط الكـافر علـى المـؤمنين فـإذا تركـو دينهم تسلط عليـه لأن ذلكـم الأخبـار متعلـق بـالإيمـان القـولي الفعلـي العملـي التطبيقي. فهذا راجع إلينا إذاً فلنستح من الله حق الحياء ونحفظ دين الإسلام ونحـافظ عليـه نسعد فـي الـدار الأخـرة ةالأولـى فلنقم بواجبنـا قبـل أن يحل

علينا عذاب مقيم – والعياذ بالله- كما حل الامم السالفة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً) [آل عمران:13]

إلى من الأمر والنهي؟!

لا زلنا نكرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد مسلم, يخاف الله, ويتقه.

ولكن إلى من يتوجه هذا الأمر والنهي؟!

يجب توجيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى كل من حَافَ عن الطريق.

إلى الصغير، إلى الكبير, إلى الرأي, إلى الرعية.

لا يمكن بل لا يجوز أن يجتنبَ المسلم أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأولى الناس الذين نتبادر إليهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم الولاة

هم الذين تحملوا على كاهلهم أمور المسلمين

فبصلاحهم صلاح المسلمين وإقامة الدين

وبفسادهم فساد الأمة وضياع الدين وكثرة المضلين.

فواجبنا كمسلمين نخاف الله رب العالمين أن نجمع كلمتنا ونكون أنصار الحق ودعاةً للدين, فبذلك سنقوم بواجبنا على أكمل وجه.

فإن قمنا بهذا الواجب استطعنا تبليغ الأمم كلها منهاج ديننا الحنيف.

نستطيع أن نغزوا الكافرين, وأن ندعوهم إلى الدخول في الإسلام.

والكفار والمشركين فلن ولن يستطيعوا غزونا, وبيضة الإسلام محفوظة مصونة, ليس للاغي والظالم العنيد فيها أي شوكة

بل (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [المنافقون:8]

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر:3] (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) [النساء:139]

هناك أحبة الإسلام وحراس العقيدة: سنفهم سوياً معنى قول ربنا عز وجل (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) [النساء:141]

سنفهم أن الله لن يطلق أداة «لن» التي تفيد التأبيد إلا لأننا مؤمنون, حافظنا على ديننا وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وأبتعدنا عن الفحشاء والمنكر, وهنا يتحقق الوعد بهذه الحماية الإلهية الربانية.

أما الإسلام ورسم القرآن هكذا دون أي عمل وتطبيق, فالسبيل بل السبل كلها مفتحة أمام المشركين الغادرين الخائنين

ولئلا يطول بحثنا هذا, ويمل قارئه فسنختصرهُ في نقاط يسيرة.
الأول: تذكير للذاكرة بأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
الثاني: حل القتل والقتال وبيان الأسباب
الثالث: ثناء الله على القائمين بالدين
الرابع: شبه قد تعارض هذه القاعدة الدينية المتينة

الفصل الأول

تذكير للذاكرة بأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن الكتاب المنزل علينا قد نص نصوصات قاطعة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونبينا الصادق المصدوق –صلوات الله عليه وعلى آله- أمرنا بذلك وحذرنا عن الترك لهاتين الدعامتين.

فهيا هيه إخوة الإيمان وأحبة القرآن لنأخذ شطراً من ذلك كتذكير وإلا فالقرآن الكريم قد كمل هذا الجانب وحث عليه ولا يمكننا الحصر لمن تأمل

آيات قرآنية

قال عز من قائل عليما (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران:104]

وقال عز من قائل حكيما (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) [آل عمران:110]

وقال الله يخاطب أهل الكتاب ويصف نبينا –صلوات الله عليه وعلى آله- (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف:157]

وقال الله في صفات أوليائه المؤمنين (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران:114]

ويصفهم بقوله عز وجل (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة:71]

ويقول عز وجل (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج:41]

ووصف الله لقمان –عليه السلام- بالحكمة ومن حكمه المباركة ماحكاه الله على لسانه (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان:17]

ففي هذه الأية إرشاد هام إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد لابد على الإنسان أن يتحمل ويصبر على كل مصيبة تنزل به وأعظم المصائب هي القتل فلا يبالي ويمضي كما أمر, هذه هي الحكمة وهذا هو الدين.

ويقول الله سبحانه (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء:114]

وقال الله سبحانه وتعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) [الأعراف:199]

ومعنى (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) أي وأمر بالمعروف

وقال الله سبحانه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت:33]

وقال تعالى (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) [المائدة:63]

وغير ذلك من الأيات

آيات قرآنيه تذم من لم يقم بهذا الواجب

قال الله سبحانه (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [التوبة:67]

ويذمهم أكثر من ذلك حينما يقول (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [البقرة:27]

وقال الله سبحانه (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) [الرعد:25]

ويكفينا ما ذم الله به بني إسرائيل على ألسنة أنبيائه –صلوات الله عليهم-

فقال سبحانه (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة: 78-79]

ولقد عذب الله الأمم بسبب تركهم وتقاعسهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وحفظ أمماً بسبب نهيهم عن الفحشاء والمنكر

وقد أوحى الله إلى نبيه «يوشع بن نون» أنه معذب من قومه مائة ألف منهم أربعون ألفاً, يعملون المعاصي فسأله عن الباقي وهم ستون آلفا فقال: كانوا لا ينهونهم عن المنكر...[1]

---

[1] وقد ذكر ذلك أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة, وروى نحو ذلك أبو داوود في سننه عن بعض بني إسرائيل ثم تلى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...الخ الأيات

هذا ومن الأيات الصريحة في الوجوب قول ذي العزة والطول (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [هود: 116-117]

فترى أن الله جنب من ينهى عن الفساد من عذابه بل جعلهم مصلحين في عباده

ومن ذلك قوله تعالى (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) [الأعراف:164-165]

الأحاديث النبوية:-

* روى الإمام الأعظم زيد بن علي عن أبائه عن علي عليهم السلام قال: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم.

وهو مرفوع عن النبي -صلى الله عليه وآله-[2]

* وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» رواه أبو عبد الله العلوي في الجامع الكافي وهو في الإعتصام.[3]

* وعن النبي -صلى الله عليه وآله- قال «أيما رجل كان بين ظهراني قوم يعمل فيهم المعاصي فلا يأخذوا على يديه إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب»

رواه الإمام أبو طالب في الأمالي ورواه الإمام محمد بن القاسم الرسي في مجموعه

قال في الإعتصام: هو في الجامع الكافي وأخره «فقدروا أن ينهوه إلا عمهم الله بعقاب» أ.هـ[1]

* خبر عظيم وحديث خطير وهو قوله -صلوات الله عليه وآله «لايحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل» وفي لفظ «أو تنصرف»

---

[2] رواه الإمام الهادي (ع) في الأحكام والإمام أبو طالب في الأمالي وهو في حقائق المعرفة وأصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان وفي الشافي للأمير الحسين

وأخرج نحوه الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا والسيوطي في الجامع الصغير وقال: أخرجه البزار والطبراني في الأوسط عن ابي هريرة ثم حسنه

وذكر المناوي أن الخطيب أخرجه

ورواه السيوطي بلفظ «مروا بالمعروف...» الخ وذكر إخراجه عن ابن ماجه عن عائشة ثم ذكر صححه

[3] ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأخرجه أحمد والترمذي عن ابن عباس

وقال الترمذي: حسن غريب.

وحسنه السيوطي في جامعه

[1] قلت: أخرجه ابن مردويه عن ابي بكر وعن ابن عباس وابن النجار عن جرير, ونحوه أخرج أبو نعيم في الحلية عن عمر وفي أخره «لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمهم البلاء»

هذا وأخرجه الطيالسي وأحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان والطبراني في الكبير الأوسط والبيهقي والمقدسي والهيثمي في «مجمع الزوائد» عن عبد الله بن جرير

رواه المنصور بالله بسنده في الشافي وابو عبد الله العلوي في الجامع الكافي والمتوكل على الله في حقائق المعرفة والأمير في الشفاء

* وعنه –صلوات الله وسلامه عليه وآله- قال «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو لتقصرنه على الحق قصرا» رواه الإمام محمد بن القاسم الرسي[2]

* عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وآله- قال «من رآى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه الإمام محمد بن القاسم الرسي في مجموعه[3]

وأخرج مسلم من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله –صلى الله عليه وآله- «ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره, ثم إنها تخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يأمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن, ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن, ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن, ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» وقد أخرجه أحمد بن حنبل في المسند وغيره

* وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون ويعملون ما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة»

رواه ابن ابي شيبة عن عبادة بن الصامت, ونحوه روى ابن جرير والطبراني والحاكم وأخرج ابو نعيم والديلمي من حديث ابن مسعود «يكون في أخر الزمان قوم يحضرون السلطان فيحكمون بغير حكم الله ولا ينهونه فعليهم لعنة الله»

والأحاديث كثيرة في هذا الباب وسأختصر مما في الجامع الصغير بعض الأحاديث

عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- قال « إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر» رواه أحمد في المسند وحسنه السيوطي.

وعن ابي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «إذا عظمت أمتي الدنيا نزعة منها هيبة الإسلام, وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمة بركة الوحي» رواه الحكيم الترمذي

وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا.

* وعن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «الجهاد أربع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في

---

[2] ورواه أبو داود في سننه بعدة طرق (121،122/4) وما بعدها وأخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجة وعبد الرزاق وابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب والطبراني عن ابن مسعود بألفاظ متقاربه.
وأخرجه عبد بن حميد عن معاذ بن جبل

[3] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي واللفظ المتقدم لفظ رواية مسلم وأخرجه السيوطي في الجامع وأحمد بن حنبل وصححه السيوطي وأخرجه الطيالسي وعبد بن حميد والبيهقي في سننه وأبو يعلى في مسنده وله شاهد من كلام أمير المؤمنين علي (ع) أخرجه أحمد والبيهقي وعبد الرزاق في مصنفه.

مواطن الصبر, وشنئان الفاسق» أخرجه أبو نعيم في الحلية ورمز السيوطي لحسنه

ونقل المناوي في شرح هذا الحديث عن ابن القيم كلاماً سننقله وله كلام حسن سيأتي إن شاء الله.

ونقل المناوي روايته عن الديلمي عن علي (ع).

* وعن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- قال: خير الناس أمرَؤهم وأفقهم في دين الله وأتقاهم لله, وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم.[1]

وقد جاء أن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الأخرة وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الأخرة. وغير ذلك كثير جدا

وقد ورد في النصيحة للخلق آثار كثيرة, وأخبار شهيرة, نكتفي منها بقوله صلوات الله عليه وآله «رأس الدين النصيحة»

قلت: ورد بلفظ «ألا إن الدين النصيحة, ألا إن الدين النصيحة»

قلنا: لمن؟

فقال –صلى الله عليه وآله وسلم: لله ولرسوله ولدينه ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم»

وفي لفظ «ولأئمة المسلمين وللمسلمين عامة»[1]

* هذا وأخرج عبد بن حميد عن معاذ بن جبل مرفوعاً من حديث «إنه يوشك السلطان والقرآن أن يقتتلا ويتفرقا»

ومنه «إنه سيكون عليكم ولاة يحكمون لكم بحكم ولهم بغيره, فإن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم»

قالوا يا رسول الله فكيف بنا إذا أدركنا ذلك

قال: تكونوا كأصحاب عيسى نشروا بالمناشير ورفعوا على الخشب, موت في طاعة الله خير من حياة في معصية»

ثم ذكر الخبر بطوله وفي نهايته «لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذنَّ على يد الظالم....الخ.

وقد تقدم.[2]

---

[1] رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير وصححه السيوطي
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد ثقات وفي بعض كلام لا يضر اهـ

[1] رواه الطبراني في الأوسط عن ثوبان وصححه السيوطي في الجامع الصغير

[2] وهذا الخبر بطوله أخرجه عبد بن حميد عن معاذ وأخرجه أيضا والحكيم الترمذي وأبو يعلي والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود، وكما قدمنا ذلك ولله الحمد وله المنه.

تواتر الأحاديث

هذا وساق المقبلي في الآبحاث المسددة نحو سبعين حديثاً في هذا الأمر أعني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال فيه (ص 326): والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداًقد تطول ذكرها فهي متواترة معنى بلا شك اهـ

إجماع الأمة على الوجوب

وبعد زيادة لأدلة من الكتاب وصحيح السنة ننقل إليك دليل إجماع الأمة متقدمها ومتأخرها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وإن ثمَّ مخالف فهو شاذ, لا يقبل قوله ولا رأيه لتقدم الإجماع عليه من الصحابة والتابعين ثم من سائر المسلمين, ولأنه لا يتعد بخلافه.

وذلك بيّن في كتب الأمة من موالف ومخالف ولله الحمد والمنة.

قد يقال : نسلم الإجماع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الأحوال الإ أنه لا يجوز بالخروج على ولاة الأمر

فيقال لهم: تصرف عجيب, ومخالفة شديدة, لا تحصل ممن هو في أمر الله ورسوله مستقيم, إنما ممن هو في دينه في ريب ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقد بينا فيما تقدم وجوب الأمر بالخيرات والنهي عن المنكرات إلى ولاة أمور المسلمين إذهم أولى بهذه المهمات.

ولكنني سأترك هنا النقاش وأوضحه وأبيّن ما يلزم إن شاء الله في الفصل الأتي والذي بعده وتحت عنوان «حوار مع شبهة الإجماع»

وهناك يتضح للناظر وجه الصواب بأذن ممن له الربوبية والملك والعزة والسلطان القاهر وهو الله الأول والأخر والباطن والظاهر.

الفصل الثاني

حل القتل والقتال وبيان الأسباب

مدخل

من هنا عزيزي القارئ ستتضح لك الفكرة التي تراودني, والتي أود أن تشاركني فيها.

ولكنها لم تتضح بعد كاملة إلا إذا أجرينا عملة تطبيقية ولنشاهد ذلك بأنفسنا.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمر التي يحتاج القائم به إلى دين وحزم في لين وشجاعة وإقدام.

تلك هي صورة الدين, التي تنبئ عن محبة وإتلاف, وقمع للشاذ والمثير للإختلاف.

كيف ذلك؟

ذلك أن الدين مقدم على غيره فمن أراد أن يمس الدين ويغيره ويبدل فيه, أو أراد إظهار المنكر وجب ردعه وقمعه

لشقه عصى المسلمين بتغيير أحكام الدين أو إظهار أي المنكرات

أو الدعاء إلى الفواحش المحرمات وهكذا.

فشق العصا هو في فعل المنكرات وتجنب الخيرات وأما في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا جمع للكلمة وتوحيد للصف

فالمنكرات والفواحش المحرمة تفكيك للصف وشق للعصا

(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) [الطلاق:1]

(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا) [البقرة:229]

وهكذا إخوة الإيمان يتجلى لنا تنفيذ الأوامر الربانية, ومنع المنكرات وظهورها, وجوباً, حتماً, قطعا

فهل إراقة الدماء جائزة لتغيير المنكر أم لا؟

سؤال قيم وجيه, بعدما سمعت من الأيات والأحاديث

واستشعرت بالواجب المتحتم عليك.

لكنني سأطلعك على أدلة الحل وتوضيحها.

وبيان الحل والحرمة, فلنتأمل جميعاً ذلك بعين بصيرة وإنصاف.

حل الدماء وتحريمها

فقد أحلَّ الله دماء المشركين قطعاً فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [التوبة:5]

وقال سبحانه (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) [محمد:4]

والمهم أن الكافر سواء كان يهودياً أو نصرانيا أو غيره من مللهم أو أنكر آية من كتاب الله أو سب الله تعالى أو رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أو نحو ذلك ليس هذا محل للتفصيل وفيه شروط معرفه معلومة لدى فقهاء الأمة وعلمائها.

ومنها ظلم الظالمين وما بينه ربنا عز وجل من حل دماء عدوان المعتدين

واللازم بيان حل ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ترى من وجوب ذلك.

آيات قرآنية تأمر بقتال الظالمين

قال الله سبحانه (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[الحج:39]

وقال الله تعالى (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ)[الشورى:41]

وقال عز شأنه (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى:42]

ولاشك أن هؤلاء ممن يعلن الشهادتين كالمنافقين وقد أنذرهم الله بالقتل

بل أمر وحتم

فقال سبحانه (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب:60-62]

فهي سنة الله أي طريقته قد مضت في قتال الظالمين المنافقين وفي وجوب قتالهم.

واسمع كيف يقول ذو المن و الإفضال مخاطباً لنبيه –صلى الله عليه وآله- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [التحريم:9]

فمن كان من هؤلاء ولم يتب ولم يحكم بحكم الله تعالى وعذَّب المؤمنين ونصر الظالمين على المظلومين فقد وجب مقاومة هذا المنكر, فإذا اعتدى عليهم ووقف الظالم أمام فعالهم من تغيير المنكر فقد وجب قتاله وحل دمه.

وكيف لا يكون كذلك وعلى الوجه الذي هنالك!!

وربنا جلَّ جلاله يقول في محكم التنزيل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة:190-192]

فقد أحل الله قتالهم بل قتلهم بسبب اعتدائهم

وقال سبحانه وتعالى (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [البقرة:194]

وديننا الحنيف هو دين العزة لا الهوان والخضوع للظالم المعتدي والمغيّر أحكام رب العالمين, كذلك أمرهم ربهم جل وعلا بالقتال بسبب الإعتداء عليهم لابغيره

ومن أوضح الدلائل وأقوى البراهين ما فيه حجة على العالمين يعرف ذلك من له أدنى معرفة و تأمل وذلك فيما أحله الله من دماء الباغين المفسدين

ممن يعلنون الشهادتين وكانوا مسلمين.

قال الله ذو الحكم والجبروت (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) [الحجرات:9]

ثم فصَّل سبحانه وفرَّق فقال (فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) [الحجرات:9]

فقد أحل الله دم البغاة الظالمين حتى يرجعوا إلى حكمه تعالى ثم قال (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [الحجرات:9]

ولعمري إن في هذه الأية ما يكفي ويشفي ولكن يزيدك وضوحاً ورفعة وسؤددا مدح الله للمنتصرين من الباغين بل رغب سبحانه عباده المؤمنين إلى الإنتصار من الباغين فقال ذو المنة (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)[الشورى:39]

وكفى بما ذكرنا ولكن زيادة للتبيين بما أعطاني الله وسهل إنه هو البر الكريم,

فأقول: ألم يأمر الله بقتل من سعى في الأرض فسادا وعطّل أحكامه وقتل عباده المؤمنين, محاربة الله وتجبراً وظلماً, وسماه الله محارباً؟!!

وقد حكم ربنا تعالى عليه بقوله (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة:33]

وفيما ذكرنا من الأيات ما يقنع وما يكتفي به اللبيب الحاذق ويستغني

مقتطف من الأحاديث

ولنقتطف زهرات يانعه وثمرات نافعه من أحاديث رسول الله-صلوات الله عليه وآله-

(1) عن جابر قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم«سيد الشهداء عمي حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»

وهو عند الزيدية مشهور

وأخرجه الحاكم في مناقب الصحابة واليلمي والضياء المقدسي ورواه الطبراني عن ابن عباس ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير.

وقال الحاكم: صحيح

قال المناوي[1]: والرجل المذكور سيد الشهداء في الأخرة لمخاطرته بأنفس ما عنده وهي نفسه في ذات الله تعالى اهـ

(2) عن ابي سعيد الخدري عن النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قال «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر أو أمير جائر»

رواه الإمام محمد بن القاسم في مجموعه,

وأخرجه ابن ماجة وأبو داود في سننه «كتاب الملاحم» والترمذي عن أبي سعيد

[1] فيض القدير[121/4]

وأخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي أمامة الباهلي بنحوه

وأخرجه أحمد والنسائي والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة عن طارق بن شهاب الأحمسي وصححه السيوطي في الجامع الصغير

قال المناوي: قال في الرياض: رواه النسائي بإسناد صحيح وكذا قال المنذري فالمتن صحيح اهـ

قلت: والسند صحيح أيضاً, إنما أعلّه بعضهم بأن في بعض طرقه عطية العوفي

وهو من ثقات المحدثين الأثبات

وقد وهنه من لاحجة فيه وقالوا فيه: ضعفوه, رمي بالتشيع المحمود وقد ترجمة له في غير هذا الكتاب بما يكفي

هذا وقد روي الحديث بلفظ «ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»

في خطبة طويلة للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم- وقد روى هذا أحمد في المسند والترمذي والبيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري, وحسنه السيوطي

قال المناوي: «كلمة حق» يتكلم بها كأمر بمعروف ونهي عن منكر «عند سلطان جائر» أي ظالم فإن ذلك أفضل من جهاد العدو لأنه أعظم خطراً اهـ

(3) قال صلى الله عليه وآله وسلم «لا تحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيّر أو تنتقل» وقد تقدم

وغيرها من الأحاديث قد تقدمت في أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(4) عن سهل بن حنيف عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال «من أذل عنده مؤمن فلم ينصره, وهو يقدر على أن ينصره, أذله الله على رؤس الأشهاد يوم القيامة»

رواه أحمد في مسنده, وحسنه السيوطي

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه أبن لهيعه وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات اهـ

قلت: ابن لهيعه هو عبد الله بن لهيعه قاضي مصر وهو ثقة ثبت ترجمة له بما يدل على أنه ثقة في كتابي«ضياء الأهله وبيان الأدلة»

فالحديث صحيح

(5) عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما تعدون الشهيد فيكم؟ قالوا: من قتل في سبيل الله

قال: إن شهداء أمتي إذن لقليل.

قالوا: فمن هم يارسول الله؟

فقال: من قتل دون ماله فهو شهيد, ومن قتل دون دمه فهو شهيد, ومن قتل دون دينه فهو شهيد, ومن قتل دون أهله فهو شهيد»

رواه الإمام محمد بن القاسم في مجموعه والإمام أبو طالب في أماليه

ورواه أحمد في المسند والترمذي وأبو داود في السنن«باب في قتال اللصوص» والنسائي وابن حبان في صحيحه والقضاعي وصححه السيوطي

قال المناوي: قال السيوطي وهو متواتر اهـ

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- «من قتل دون مظلمته فهو شهيد» رواه النسائي والضياء المقدسي وأحمد والقضاعي عن سويد بن مُقرِّن المزني. وصححه السيوطي.

قلت: وقد روي ذلك في الصحيحين بلفظ «من قتل دون ماله فهو شهيد»

فقد أخرجه البخاري في المظالم ومسلم في كتاب الإيمان

ولابن جرير كلام جيد هنا في قتال الظالم نقله عنه المناوي وسيأتي في محله إن شاء الله تعالى.

(6) قوله –صلى الله عليه وآله وسلم- «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً, ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من أثامهم شيئا»

أخرجه مسلم والأربعة أهل السنن وأحمد بن حنبل في مسنده وصححه السيوطي

وهو من الأدلة التي تنص على الثناء على من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر

فقوله «من دعا إلى هدى» أي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء السنن وتطبيق الكتاب العزيز

فقوله «من دعا إلى ضلالة» أي إلى البدع وتحريم ما حرم الله وتحليل ماحرم الله والنهي عن المعروف والأمر بالمنكر وتغيير أي حكم من أحكام الله.

وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

والحمد لله فالروايات كثيرة وأكيدة صحيحة.

إذاً قد قدمنا ما يقطع به ويقنع كل خصم معاند بنصوص القرآن وصحاح الأحاديث النبوية الشريفة

فما بقي؟ أو ما تبقى؟!

لاشيء سوى التوضيح لشبهةٍ تلقى من قبل من يحاول منع ذلك من أهل الشقى

حوار مع شبهة

الشبهة الأولى: طاعة ولي الأمر وإن كان ظالما.

ومعنى هذه الشبهة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا على ولاة الأمر فلا يجوز!! هكذا عندهم تأمل!!...

ولنناقش معاً هذه الشبهة لندرك الجواب واضحا وذلك بأن نقول:

لو كان الولاة ممن ينهون عن المنكر فهل تجب علينا طاعتهم؟!! طاعتهم واجبة

وإذاً فلا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!! لأن الولاة قائمون بذلك

وإذا كان ذلك كذلك صح عندنا التعاون مع أهل المنكر!! فإن أمروا بالمنكرات أو أظهروها فإن الحق الذي تقبله العقول ويدل عليه محكمات المنقول وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين يدي الولاة وهم أولى الناس بذلك ولا يجب التعاون مع الولاة إلا في نصرتهم المظلوم وإغاثتهم الملهوف وفي نهيهم عن منكر مخوف فنصيحة السلطة واجبة إلى الولاة قبل غيرهم, وتلك هي النصيحة لأئمة المسلمين....

وقد يوافقنا الخصم العنيد والمعين الظّلم المريد ويقول يجوز بالتذكير للولاه و بالنصح باللسان وأما محاربتهم إن لم يجيبوا وأصروا على المنكر(وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) فلا يجوز . هكذا قد يقولون!!

والحق أنه مهما لم يمتنع عن المنكر وجب حربه وقتاله وإلا فما هي الفائدة العائدة علينا من حديث رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- «فليغيره بيده» وقد تقدم الحديث وصحته.

فإن قالوا: واجب في سائر الناس لا في الولاة . أجبنا عليهم بما قدمناه وبأن التفريق بين الأدلة من غير برهان منير لا يجوز ولا يحل

فمن أصر على المحاربة لحدود الله والمضادة لأوامر الله والموالاة للفساد فقد وجب نهيه ولو بالقتل غضباً لله ولرسوله ممن كان, لاسيما وأن الولاة أولى بذلك.

ويبدوا أن القارئ سيدعي –سواء سلم أم لم يسلم- ويقول: هناك دليل في وجوب الطاعة.

قلت: هلم إلى البرهان والبيان فما ذلك الدليل؟

يقول: الإستدلال بقول ذي المنة والجلال (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) [النساء:59]

قلت: هذه الأية التي أمليتها ما رأيت فيها –مما تقول- دليلا. فما هو الدليل في الأية؟

يقول: تأمل فقد أمر الله بطاعة أولي الأمر!

قلت: هل قال الله وأولي الأمر وإن كان ظالماً أو مخالفاً أو أمراً بمنكر أو ناه عن معروف......الخ حتى نستدل بها.

من هم ولاة الأمر

الحقيقة أننا لم نفهم من هم ولاة الأمر؟!

إذا عرفنا منهم ولاة الأمر الذين استخلفهم الله تعالى. فسنعرف منهم الذين تجب علينا طاعتهم

إذاً فاسمع لما ذكره الله من لوازم في خليفته في الأرض. الذين هم حكام الأرض وولاة الأمر

قال سبحانه وتعالى(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) [ص:26]

وقال الله لنبيه –صلوات الله عليه وآله- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الجاثية:18]

ويقول سبحانه (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) [الحج:41]

وهذه شروطهم الواجبة في خلافة الأرض وشرط العلم والفهم والشجاعة فقال عز سلطانه وذلَّ أعدائه(وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) [البقرة:247]

وقال عز سلطانه (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة:124]

فولاة المسلمين لابد وأن يكونوا من أفضل المؤمنين وأتقاهم وأزهدهم وأخشاهم لله رب العالمين, فهم أول الناس طاعة لله ولرسوله وامتثالاً لأوامره

وإن لم يكونوا على ما ذكر الله وأمر فليسوا على المسلمين بولاة بل على أمثالهم من الفسقة المجرمين.

فأما المخالفة لحكم الله فذلك من أجله بعثت الرسل وأنزلت الكتب

فلو كان الوالي يقول بالحكم بغير ما أنزل الله تعالى

هل يكون والياً على المسلمين لأنه يحكم بغير حكم الله؟! هل نقول هوز من ولاة أمرنا؟!

وكيف تجوز طاعته والله سبحانه يقول (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء:60]

فجعلهم الله ممن يزعمون الإيمان – والزعم مطية الكذب – فكيف تقبل دعوى إيمانهم؟!

فهل يجوز أن نقبلهم بحجة أنهم ولاة أمرنا؟!!!

حسبنا الله حسبنا الله حسبنا الله

فولاة المسلمين لا طاعة لهم حتى يكونوا أطوع الناس لله سبحانه وحاكمين بحكمه

واسمع كيف يقول الرب المعبود (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) [النساء:58]

كيف نرتضيهم وهم فسقة مجرمون والله يقول (فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [التوبة:96]

اليس يكفينا ونحن مسلمون –قول الله يخاطب نبيه- (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) [المائدة:49]

بل وإن الله سمى من لم يحكم بما أنزل الله فاسقاً وظالماً وكافراً.

فقال سبحانه (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [المائدة:44]

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [المائدة:45]

(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [المائدة:47]

فمن أعرض عن الحكم في حد السرقة أو القذف أو الزنا أو شرب الخمر وغيرها من الحدود بسبب أحكام البشر وقوانينها فهو كافر. ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجحود والنكران فهو ظالم. وإن كان في حكمه مضيعاً لحق أو تاركاً لعدل أو مساواة وإلا فهو فاسق.

والمراد من هذا أن ولاة الأمر إذا لم يحكموا بما أنزل الله فلا طاعة لهم لأنهم لم يطيعوا الله

فلا طاعة لهم حتى يطيعوا الله بل ينقادوا لكل ماأمر به الله ورسوله قال الله ذو العزة والكبرياء(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [النساء:65]

وماذكرته ضرب مثل فقط وإلا فالشيء كثير. وسنذكر بعضاً إن شاء الله تعالى.

فهنا فهمنا من هم ولاة الأمر وتفسير الأية الكريمة وسنفهم أكثر بعون الله سبحانه.

وقفة توضيحية حول تفسير الأية

وأما الأية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) [النساء:59]

فأولاً: إقرأ الأية وتمعن فيها جيداً وأحسنْ ستدرك بنفسك المعنى من الأية كاملة

ثانياً: من هم أولو الأمر الذين تجب طاعتهم؟! قد عرفنا سابقاً من هم؟ فإن كانوا مؤمنين مطيعين ولأحكام ربهم منقادين مذعنين وجبت طاعتهم وإلا فليسوا لنا ولاة يجب علينا طاعتهم.

ثالثاً: الأية فيها دليل على تغيير المنكر وأن ولي الأمر الظالم لا تجوز طاعته وذلك لأن الأية قد قيدت بثلاثة قيود:

الأول: قال ربنا تعالى (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) فإعادة الفعل «أَطِيعُوا» عند ذكر الرسول يشعر بأن طاعة الرسول تجب له استقلالاً كما هي لله تعالى استقلالاً

لأن النبي –صلى الله عليه وآله- أوتي القرآن ومثله معه (مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [الحشر:7]

ثم حذف تعالى فعل الطاعة وهو «أَطِيعُوا» في حق أولى الأمر. ففيه ما يشعر أن طاعة ولي الأمر لا تجب لهم استقلالاً. إنما هي من ضمن طاعة الله وطاعة الرسول ويقتضي أن لا يطاع ولي الأمر إلا بعد استيفاء طاعة الله والرسول في كل ما يصدر عن ولي الأمر.

ومعناها أنه لا طاعة لهم إلا إذا أطاعوا الله ورسوله وحكموا بذلك فمن جاء بخلاف ما جاء به الله ورسوله فلا سمع له ولا طاعة

القيد الثاني: في قوله تعالى (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فقول «مِنْكُمْ» يعني من المؤمنين وهم المخاطبون بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر. وهذا أمر لا جدال فيه. أما الظالمون الباغون فليسوا منكم أبداً إنما هم أئمة أمثالهم. فليس في الأية إذاً دليل على جواز طاعة الولاة الظالمين

القيد الثالث: لما علم –سبحانه وتعالى- أمر الخلق وما سيختلفون فيه مع ولاتهم عقب طاعة أولي الأمر بقوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ) أي اختلفتم أنتم وولاة الأمر فحل سبحانه هذا الخلاف بيننا بقوله (فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فهل أمر ولي الأمر بشيء تجب طاعته؟! إن كان يوافق القرآن والسنة فواجبة الطاعة وإن كان يخالفهما فلا طاعة ولا ولاية وهذا هو الحل الذي يجب العمل به ولذلك قال تعالى (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)

حكاية لأبي حازم في التقييد الثالث

وما ذكرته في القيد الثالث كان مما فهمني ربي –سبحانه وتعالى- ولكن بعد فراغي منه وافقني أن المناوي نقل في فيض القدير(432/6) ما يؤيد ما ذكرت فقال: قال الزمخشري قال مسلمة بن عبد الملك لأبي حازم: ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله تعالى (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قال أبو حازم: أليس قد نزعت عنكم إذا خالفتم الحق بقوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)....الأية اهـ

استشكال وجيه

فنرجوا من القراء الأكارم أن يفهموا الأية. فإن الله لا يأمر بطاعته ثم يأمر بطاعة من عصاه وخالف أمره. فليتق الله كل مؤمن ويتأمل ذلك بعين البصيرة.هذا ما فهمته واستخرجته من الأية

هذا وقد قدمنا ما يقارب ذلك ويؤكده من كتاب الله ويؤكد ما قلناه ونزيد ذلك وضوحاً من السنة النبوية

السنة النبوية تنهى عن طاعة من عصى الله أو أمر بعصيانه

لقد بينت السنة الغراء حدود الطاعة لولاة الأمر ونهت عن طاعتهم فيما يخالف ما أنزل الله فقد صح عن رسول الله –صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله- أحاديث عديدة في ذلك ومنها:

الحديث الأول: قال رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق[1]»

الحديث الثاني: عن أنس قال قال رسول الله –صلى الله غليه وآله وسلم- «لا طاعة لمن عصى الله فإذا أمر الإمام بمعصية فلا سمع ولا طاعة»

وفي لفظ «لا طاعة لمن لم يطع الله[2]»

قال المناوي في الفيض(432/6) كما هو نص حديث البخاري أنه لا يجب ذلك بل يحرم على من قدر على الإمتناع اهـ

الحديث الثالث: عن علي –عليه السلام- عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- «لا طاعة لأحدٍ في معصية الله إنما الطاعة في المعروف[3]»

قال المناوي في الفيض (432/6) : وهذا صريح في أنه لا طاعة في محرم فهو مقيد للأخبار المطلقه

الحديث الرابع: عن ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم- «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[4]»

قال المناوي في الفيض (146/4) وفيه تقييد للمطلق في غيره من السمع والطاعة ولو لحبشي ..... إلى أن قال: وقد خرج كثير من السلف على ولاة الجور في الفتن اهـ

قلت: ونحو هذا الخبر ما روي عن ابي هريرة عن النبي الأعظم –صلى الله وسلم عليه وآله- قال «طاعة الإمام حق على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية الله, فإذا أمر بمعصية الله فلا طاعة له[5]»

الحديث الخامس: عن أبي سعيد الخدري عن النبي الأكمل –صلوات الله وسلامه عليه وآله- قال «من أمركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه والله أحق أن ترضوه[1]»

والأحاديث كثيرة في هذا الباب كتاباً وسنة ويكفي ما ذكرته لطالب الحق والباحث عنه

بل إن الأحاديث جاءت بذم ولاة السوء وفي الأحاديث ما يدل على هلاك الدين بسبب ولاة الأمر من الفاسدين الظالمين ومن ذلك:-

---

(1) رواه أحمد بن حنبل في المسند والحاكم عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري وصححه السيوطي في جامعه قال المناوي في الفيض (432/6) قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح ورواه البغوي عن النواس وابن حبان عن علي بلفظ « لا طاعة لبشر في معصية الله» وله شواهد في الصحيحين اهـ

(2) رواه أحمد في المسند باللفظين ورواه البخاري, واللفظ الثاني صححه السيوطي كما قال المناوي وحسنه في الجامع الصغير وقال ابن حجر: سنده قوي

(3) رواه أحمد في المسند وهو متفق عليه من رواية البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وصححه السيوطي في الجامع الصغير وروي بلفظ مقارب وقد رواه من تقدم وغيرهم

(4) رواه البخاري ومسلم والأربعة أهل السنن وأحمد في المسند

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان ورواه السيوطي في الجامع الصغير وصححه

(1) رواه أحمد في المسند وابن ماجه والحاكم كما في الجامع الصغير وصححه السيوطي في جامعه.

ما روي عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- من حديث ثوبان «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين[2]»

قال المناوي في الفيض (563/2) وفائدة الحديث تحذير الإمام من الإمامة على ضلالة وتخويف الرعية من متابعته على الإغترار بإمامته اهـ

وعن ابي أمامة عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- «لست أخاف على أمتي غوغاء[3] تقتلهم ولا عدواً يجتاحهم, ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم[4]»

وهذا من أعلام نبوته ومعجزاته فإن ما خافه عليهم وقع. هكذا قال المناوي وقد صدق.

ومنها قوله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم- «لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء[5]»

ومنها قوله –صلى الله عليه وآله وسلم- «أربعة يبغضهم الله: البياع الحلّاف والفقير المختال والشيخ المزاني والإمام الجائر[6]»

والإمام الجائر: هو الحاكم الظالم المائل عن الحق إلى الباطل. هكذا عرفه المناوي والأحاديث الشريفة مستفيضة بذلك.

فإذا فسد الوالي وحكم بغير الشريعة وظلم الناس ونحن لم ننكر عليه ونخرج ضده وقد أصر على إقامة المنكر فإنها أكبر آفة على الدين وسبب لدخول الكافرين وسيطرتهم علينا,

تحذير عن المخالطة للحكام

لقد حذرنا الله ورسوله مخالطة الحكام أو الولاة الظالمين والركون اليهم ومن ذلك قول ذي الجلال والإكرام (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) [هود:113]

قال العلماء –رضوان الله عليهم- في معنى الأية: ولاتميلوا إلى الظالمين أيَّ ميلة

ويقول سبحانه وتعالى(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) [الأنفال:25]

---

(2) رواه الترمذي في الفتن, وأبو داود في الفتن (97/4, 98) وحسنه السيوطي. وأخرجه مسلم من حديث طويل في الجهاد, وابن ماجه في السنة.

(3) السفلة المسارعون إلى الشر.

(4) رواه الطبراني في الكبير عن ابي أمامة

(5) رواه الحارث بن ابي أسامة في مسنده عن ابن مسعود وحسنه السيوطي في جامعه

(6) رواه النسائي والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب في التاريخ وصححه السيوطي في جامعه قال الحافظ العراقي: سنده صحيح, وقال الذهبي في الكبائر: إسناده صحيح.

أي انتبهوا بل احذروا وتجنبوا عذاباً لا يقع على الظالمين خاصة بل يقع على جميع الناس بسبب مخالطة الظالمين وعدم الخروج عليهم, ومنعهم من تغيير أحكام الله رب العالمين.

وهنا إن لم ننكر المنكر شابهنا أهل القسوة الضآلين من بني إسرائيل (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة:79]

وفي الحديث «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم, فقد تُوُدِّع منهم[1]»

ومعنى تودع ما قاله القاضي عياض: أصله من التوديع وهو الترك. وحاصله أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمارة الخذلان وغضب الرحمن, (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) [الحج:18]

قال المناوي: فقد كانت عادة السلف التصريح بالإنكار والتعرض للأخطار اهـ

وأما العالم إذا خالط السلطان فهو أولى بالذم مهما وقد خالط السلاطين الفسقة المجرمين

ففي الحديث «إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص[2]» أي سارق محتال حل اقتناص الدنيا وجذبها إليه من حرام وغيره

وروي أيضاً عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- «إذا رأيتم العلماء يخالطون الأمراء فاحذروهم على دينكم» وقد رواه الإمام القاسم بن محمد في الإعتصام[1]

ومن التحذير عن مخالطتهم والرضى عن أفعالهم ما روي في الحديث «الظلمة وأعوانهم في النار[2]»

وفي تاريخ ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً «من أعان ظالماً سلطه الله عليه»

ويؤيد هذا الحديث ما قاله المناوي: مصداقه قوله سبحانه (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) [الأنعام:129]

وروي عن ابن عباس مرفوعاً «من أعان ظالماً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله[3]»

وعن عبد الله بن عمر مرفوعاً «الجلاوزة الشرط وأعوان الظلمة كلاب النار[4]»

وعنه –صلوات الله عليه وآله- قال «أهل الجور وإخوانهم في النار[5]»

---

(1) رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو, والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والترمذي في السنن وصححه السيوطي وقال الحاكم في المستدرك: صحيح. وأقره الذهبي في التلخيص, وقال الهيثمي: رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح

(2) روى الخبر الديلمي في الفردوس وحسنه السيوطي وقال المناوي: إسناده جيد

(1)

(2) رواه الديلمي في الفردوس عن حذيفة

(3) رواه الحاكم وقال: صحيح, وصححه السيوطي في جامعه الصغير

(4) رواه أبو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «من اعتقد لواء ضلالة أو كتم علماً أو أعان ظالماً وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام[6]»

وقد روى الهادي – عليه السلام- في الأحكام وجده القاسم –عليه السلام- في المجموع عن النبي الأعظم –صلى الله عليه وآله وسلم- «من أعان ظالماً كان كمن أعان فرعون على موسى»

كيف لا والله سبحانه وتعالى يقول (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ) [الصافات:22]

وفي الحديث الصحيح «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة فما انبرى لهم قلم, ولا راق لهم دواة»

بل حتى من سود جمعهم وعددهم فهو معهم لما روي في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم- قال «من أحب قوماً حشر معهم» وعنه –صلوات الله عليه وآله وسلم- «من سود مع قوم فهو منهم ومن روَّع مسلماً لرضا سلطان جيء به يوم القيامة معه[1]»

ومن حديث جابر «من أرضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله تبارك وتعالى[2]»

ومن حديث ابن مسعود «يكون في أخر الزمان قوم يحضرون السلطان فيحكمون بغير حكم الله ولا ينهونه فعليهم لعنة الله[3]»

وفي الحديث عن ابي سعيد «يكون أمراء يظلمون ويكذبون تأتيهم عوارش من الناس فمن دخل عليهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه[4]»

فقد أوردنا إذاً ما يكفي في عدم جواز طاعة الظالم أياً كان نوع ذلك الظلم لمخالفته أحكام رب العالمين والتمرد عن طاعته فإن كنت مصراً على ظلمك ونصرة الظلم فقد خالفت الكتاب والسنة والإجماع.

شبهة في الحوار مع السنة

فإن قال قائل: لازلنا على حوار حول أدلة السنة والإجماع

قلت: وما ذاك؟ قيل: لنا أدلة صريحة من السنة على وجوب الطاعه ولنا استدلال على الإجماع.

قلت: إذاً للقائل شبهتان: شبة في الأدلة على الطاعة وأخرى على الإجماع ولنبدأ بما يتمسك به من السنة حول الأمر بالطاعة للعصاة وللظلمة وهم ولاة

---

(5) رواه الحاكم في المستدرك من حديث حذيفة
(6) أخرجه ابن الجوزي في العلل من حديث عمرو بن عبسة
(1) رواه الخطيب عن أنس بن مالك وحسنه السيوطي في الجامع الصغير
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك
(3) أخرجه أبو نعيم والديلمي
(4) أخرجه الطيالسي, وأحمد وأبو يعلى وابن حبان والمقدسي.

فقد روى عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- أحاديث طاعة ولي الأمر ولنذكر ما حضرنا

هنا جملة منها:-

«عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكروهك أو أثرة عليك»

«اسمع واطيع وإن كان عبداً مجدَّع[5] الأطراف»

«بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول الحق لانخاف في الله لومة لائم»

وفي بعضها «وأن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»

«اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه فاسمعوا له واطيعوا»

«من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه»

«فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان»

«من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»

ومن حديث حذيفة من حديث طويل «وهل بعد ذلك الشر من شر قال رسول الله نعم

وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر

قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها, قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا

قلت: فما تأمرني به قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم, قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها»

«ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»

«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم»

«تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» وغيرها

أخي القارئ: ترى هذه الأدلة بعضها في الإستماع للأمير والصبر عليه مهما ظلم, والبعض الأخر في عدم الخروج على الوالي مهما كان واللازم اتباع الجماعة وعدم الخروج والصبر مهما كان.

---

[5] مجدع الأطراف: مقطع الأطراف.

فهذه الروايات المتعددة بألفاظ متقاربة والمعنى منها قد يكون واحداً إذ الظاهر منها الطلب من الناس الإلتزام بطاعة الوالي على المسلمين مهما بلغ ظلمه وجبروته

تحليل فكري

يا ترى ما هو الفارق بين أن يكون الوالي مسلماً وبين أن يكون الوالي كافراً؟!

الفارق كبير جداً

فالكافر إذا تولى على المسلمين استضعفهم وأذلهم ومنعهم من ممارسة طقوسهم الدينية والتمتع بعزتهم وعزة دينهم وحريتهم التي أفترضها الله للمؤمنين دون سائر الخلق

ولهذا لا يصح للمسلمين إلا والياً منهم بل أعلمهم وأتقاهم. ليتمتع المسلم بالحرية الكاملة والعزة الدينية على سائر ملل ونحل الأمة

وإذا كنا سنرتضي الظالم والياً علينا استضعفنا ومنعنا من ديننا وقمع المؤمنين وجعلهم أذلة ورفع الظالمين وقرب إليه أهل السوء والفحشاء وأرهب من أنكر منكرا ودعا إلى طاعة ربه ومولاه –جل وعز- وإلى طاعة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- فما الفارق بين الوالي الظالم وولايته وبين ولاية الكافر؟!

لا أرى فرقاً لأن ما يخاف من سيطرة الكافر على المسلم هو ما نخاف وقوعه من الظالم بل إن الظالم الذي تولى رقاب المسلمين أشد خطراً لأن اللبسة للدين بالشهادتين ونحوها لا تزال كما فعل أهل الكتاب. وهذا أمر واضح لا جدال فيه. وسائل التاريخ يخبرك عن أنباء الظالمين المجرمين.

توضيح حول الأدلة

وهيا لنوضح ما اشتملت عليه الأحاديث المستدل بها فنقول:-

أولاً: هي أحاديث مطلقة في طاعة ولي الأمر كقوله «اسمعوا وأطيعوا....» الخ

«ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني» ونحو ذلك. وقد قيدت بأصرح وأصح من ذلك ما رويناه عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- «ما لم يأمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وقوله «ما أقام فيكم كتاب الله» ونحو ذلك

وقد قدمنا ذلك, وهذا أمر مجمع عليه.

قال النووي شرحه لمسلم (222/12): أجمع العلماء على وجوبها –أي طاعة ولي الأمر- في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وأخرون اهـ

وقال في معنى حديث «عليك بالسمع والطاعة في عسرك ....الخ صـ224: قال العلماء معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس

بمعصية فإن كان لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية فتحمل منه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحه بأنه لا سمع ولا طاعة في معصية اهـ

وقد قدمنا كلام المناوي حيث قال في حديث «لا طاعة لأحد في معصية الله»: وهذا صريح في أنه لا طاعة في محرم فهو مقيد للأخبار المطلقة اهـ

وفي حديث «السمع والطاعة حق على المرء المسلم ما لم يؤمر بمعصيه....الخ» قال: وفيه تقييد للمطلق في غيره من السمع والطاعة ولو لحبشي إلى أن قال: وقد خرج كثير من السلف على ولاة الجور في الفتن واعتزلها البعض[1]

ثانياً: ورد بعض ألفاظ تلك الأخبار بلفظ «وإن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» وولاية العبد بجعله إماماً لا يجوز والإجماع منعقد أن الإمامة لا تكون إلا في حر فإن كان المراد بالولاية للإمامة على الناس جميعاً فهذا لا يجوز لأن الإجماع بين المسلمين جميعاً على أن الإمامة غير جائزة في العبد وأن الحرية شرط في الإمامة.

وإن كان المراد تأمير الإمام للعبد في إمارة أو قيادة أو في ولاية أو مشابه هذه الأمور فهذه الأمور جائزة على التحقيق من الإمام العادل.

قال النووي في شرح صحيح مسلم(225/2) وتتصور أمارة العبد إذا ولاه بعض الأئمة ..... ولا يجوز ابتدأ عقد الولاية له مع الإختيار بل شرطها الحرية اهـ

قلت: هذا الكلام هو الحق إلا أنه قال: أو إذا تغلب على البلاد شوكته وأتباعه.

فهذا أمر ليس له وجه إذ التغلب والبسط من الظالمين يجب دفعه وما هذا إلا تبرير للظالمين وإعانة لهم. ويأتي بحث تحت عنوان «التغلب» نوضح سذاجة هذه الدعوى وأهدافها. إن شاء الله تعالى-

فنحن نؤيد أن الولاية في الحديث للعبد إذا كانت من الإمام العادل فجائزة وإلا فلا معنى لذلك ويؤيدنا على ذلك –ما قدمناه وما روي عن أمير المؤمنين علي –عليه السلام- مرفوعاً «وإن أمرت عليكم قريش عبداً حبشياً مجدَّعا فاسمعوا له وأطيعوا[2]»

وهذا دليل واضح لا مراء فيه سيما عند المتمسلفة من الأشاعرة لأنهم يرون أن «الإمامة من قريش» كما ثبت مرفوعاً وهو في البخاري ومسلم وغيرهما.

والأمر بالسمع والطاعة بما ليس فيه معصية لله ولإلا فلا سمع ولا طاعة

ثالثاً: لو سلمنا صحة هذه الأحاديث التي سردنا وأن فيها دليلاً فقد بينت في نفسها التقييد بقوله «ماأقاموا فيكم كتاب الله» «ما أقام فيكم كتاب الله» وهكذا والأمر واضح جداً

---

[1] فيض القدير (146/4)
[2] اخرجه الحاكم في المناقب وقال: صحيح والبيهقي وقال ابن حجر: حديث حسن, وحسنه السيوطي في جامعه الصغير

وكذا في حديث المبايعة «وأن لا ننازع الأمر أهله» أنه لا يجوز طلب الإمامة مع وجود إمام من قريش, فكيف صحت ف عبد؟!

إلا إذا أراد لا تنازعوا أهلها وإن كان عبداً حبشياً أي ولو كان الرجل القرشي يسمى عبداً حبشياً في عرف الناس إذ يسمون أهل الحبشة عبيداً بالنسبة إلى الألوان أو نحو ذلك

فلا تنازعوه لكونه يسمى عبداً جاء من الحبشة أو أصل سكناه الحبشة لأنه من أهلها وهذا أبلغ في تحريم المنازعة لقريش في الإمامة – وهذا فرض على تسليم الصحة-

وفي قوله «وعلى أن نقول الحق لا نخاف في الله لومة لائم» ما يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإعلان بقول الحق وإن لام من لام فلا خوف أبداً من الإمام في قول الحق ونهي المنكرات.

قال النووي في شرح صحيح مسلم (330/12) معناه نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر في كل زمان ومكان, الكبار والصغار لا نداهن فيه أحداً, ولا نخافه هو – أي الظالم- ولا نلتفت إلى الأئمة في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اهـ

رابعاً: في خبر حذيفة الطويل ما يدل على وجوب الخروج على الظالمين ففيه عندما يسود الظلمة دعاة النار قال «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فذلك أمر واضح باتباع المسلمين وإمام المسلمن أما الظالمين وإمامهم فلا تتبعهم, ويدل على هذا أنه إذا لم يكن للمسلمين إمام فقال رسول الله –صلى الله عليه وآله- «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل» فلا تقاتل أيام الفتن والإختلاف إلا مع الإمام عادل الذي لا يأمر بمعصية ولا ظلم ولا غيرها من المخالفة لأحكام الله رب العالمين

خامساً: أنه متى ما اجتمع أمر المسلمين على إمام عادل تقي يطبق أحكام الله وسنة رسول الله فلا يجوز لمسلم الخروج عليه فإذا أمر بمعصية أو أظهر ظلماً أو أبطل حكماً من أحكام الله فلا سمع له ولا طاعة وجب إنكار المنكر هذا ما أرشدتنا إليه الأحاديث وأمرتنا به فمن خرج على أئمة الدين وجب قتله ومن خرج على الظالمين الفاسقين المغيّرين لأحكام الله فما خرج عن طاعة الله ورسوله وما أمر الله به لأنه الطاعة لولاة الأمور في معصية أصلاً فالواجب علينا إعانة من خرج على الظالمين ونصرته

سادساً: أما الأمر بالسمع والطاعة وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فهذا لأن التنفيذ للخروج على الظالمين يكون بجماعة من نصرة الدين وليس لهم هدف الا الدين مع إمام عادل تقي ورع عالم مجتهد فاضل داع إلى الخير أمر به ناه عن المنكر من بيت النبوة من ابناء النبي الأمين –صلوات الله عليه وعليهم أجمعين- وهذا مبني على تسليم الصحة وإلا فالنكارة واضحة في الحديث وما ينبغي لإمام المسلمين الحامل للشروط التي ذكرناها أن يضرب الظهر وينتهب مال امرئ

مسلم بغير حق ولا طاعة للإمام حتى يأخذ لمظلومهم من ظالمهم ويسترد الحقوق ويُعمِل الأحكام الشرعية عملها فذلك هو الدين

أما انتهاك الحرمة لمال امرئ مسلم بسلبه وانتهاك حرمة عرضه بضربه وإهانته فذلك منكر ومن حديث رسول الله باطل وحاشا رسول الله أن يبيح عرض رجل مسلمك وماله أو يأمره بالسكوت وهو القائل –صلوات الله عليه وآله- «من قتل دون ماله فهو شهيد» « دون عرضه فهو شهيد».....الخ الروايات وقد تقدم تخريجها وتصحيح هذه الروايات

فروايه «وان ضرب ظهرك وأخذ مالك» باطلة مكذوبة منكرة مخالفة للمعلوم ضرورة من الدين ومن أوامر رسول الله –صلوات الله عليه وآله وسلم-.

فوائد ملخصة حول «إلا أن تروا كفراً بواحا»

سابعاً: وهذه هي النقطة الأخيرة في الحوار والتي يقال فيها إن الأحاديث قد قيدت بلفظ «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»

فنقول وبالله نصول وعليه نعتمد وبه نتوسل: إن هذه الزيادة لابد من فهمها وفهم حقيقتها وذلك بوضعها في ملخص فوائد نرتبها لتستبين لقارئها وليسترشد بها من أراد أن يأم طريقها. واليكها مستنيرة بفضل الله تعالى

الفائدة الأولى: بيان معنى «الكفر البواح»

اذا نحن فهمنا معنى الكفر هنا وفسرناه بمعنى المعاصي استقامة الأدلة وهي طريقة الحذاق ومنه فلا نكارة ولا اختلاف فمتى أظهر المعاصي وجب قتاله.

كلام النووي في أن معنى الكفر المعاصي

وهيا نسمع سوياً قول النووي في شرح صحيح مسلم (229/2) ولفظه: والمراد بالكفر هنا –أي في هذا الحديث- المعاصي ومعنى [عندكم فيه من الله برهان] أي تعلمونه من دين الله تعالى

ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتهم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم اهـ

وكلام النووي فيه كفاية ردعاً للمتعصب العنيد ويؤيده أن الكفر قد جاء على معان عدة كما في كتب أهل اللغة

قال ابن الأثير: الكفر صنفان: أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده, والأخر الكفر بفرع من فروع الإسلام فلا يخرج به عن أصل الإيمان اهـ قلت: يعني العصيان.

وقال: قيل لابن عباس «ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون» فقال: هم كفرة وليسوا كمن كفر بالله واليوم الأخر.

وجاء الكفر بمعنى التغطية أو نكران النعمة قال ابن الأثير: إن الاوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف فأنزل الله (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) [آل عمران:101] ولم يكن ذلك على الكفر بالله ولكن على التغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة.

وقال: «من ترك قتل الحيات خشية النار فقد كفر» أي كفر نعمة وكذلك الحديث الأخر « من أتى حائضاً فقد كفر» «من زغب عن أبيه فقد كفر». وساق أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى ثم قال: وأحاديث هذا النوع كثيرة.

وقال في أهل الردة بعد تصنيفهم الى صنفين: الصنف الثاني من أهل الردة لم يرتدوا عن الإيمان, ولذلك اشتبه على عمر قتالهم لإقرارهم بالتوحيد والصلاة, وهؤلاء كانوا أهل بغي فأضيفوا إلى أهل الردة حيث كانوا في زمانهم.اهـ[1]

وفي «معجم الوسيط» قال: الكفر ضد الإيمان, والكفر جحود النعمة وهو ضد الشكر قال تعالى (إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ) [القصص:48] أي جاحدون. وقوله تعالى(فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) [الإسراء:99]

وقال في تعريف الكافر: وكل شيء غطى شيئاً فقد كفره, قال ابن السكيت: ومنه سمي الكافر لأنه يستر نعم الله عليه.

هذا وكتب أهل اللغة واسعة ومما نقلناه يتلخص لك أن الكفر على معان: بمعنى الكفر الذي هو ضد الإيمان, وبمعنى الجحود والنكران, وبمعنى الرفض والمباينه أي المضادة كقولهم «كفرنا بكم» أي رفضناكم وبايناكم, والكفر ضد الشكر كما في قوله تعالى (لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) [النمل:40] وبمعنى المعاصي وغيرها.

من هذه المعاني يتبين –إن شاء الله- أن معنى «إلا أن تروا كفراً بواحا» أي معاصي ظاهرة فمهما ظهرت المعاصي وجب الإنكار على أهل المعاصي والإجرام من ولاة الأمر وإظهار الولاية لأولياء الله والعداوة لأعدائه. ولأنه لا يتمكن أن يأمر النبي بترك قتاله حتى يكفر لأن الكفر لا يحتاج إلى إرشاد إذ الإجماع منعقد على ذلك وإنما الإرشاد في المعاصي, ويؤيدنا ما يأتي من الفوائد إن شاء الله وما قدمناه من كلام النووي وغيره.

الفائدة الثانية: زيادة لفظ «إلا أن تروا كفراً بواحا»

من خلال البحث حول الرواية والتتبع وجدنا ان أكثر طرق الحديث قد روي بغير هذه الزيادة فقد رواه بغير هذه الزيادة عن عبادة بن الصامت [البخاري في جامعه الصحيح في الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس] من طريق مالك عن يحيى بن سعيد, ورواه [مسلم في صحيحه في الإمارة-باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية] من نحو ثلاث طرق, و [النسائي في سننه في البيعة] وفي [السنن الكبرى في السير] من طريقين, و [أحمد في مسنده] من عدة طرق و [ابن أبي شيبة] بعدة طرق في الفتن, و [البيهقي في السنن الكبرى] و

[1] النهاية في غريب الحديث (186/4) وما بعدها

[البزار في مسنده] في مسند عبادة بن الصامت, وغيرهم كثير جداً يطول المقام بالتفاصيل.

الفائدة الثالثة: رواية الأبناء عن الآباء.

يؤيد ذلك أي ما تقدم في الفائدة الثانية أن الرواية قد تعددت طرقها ومع هذه الطرق إلا أنه مما يطمئن النفس ويرتاح له البال أن رواية الأبناء عن الأباء عند الأكثر مروية بغير هذه الزيادة فهم يروونها عن عبادة بن الوليد عن الوليدين عبادة عن عبادة بن الصامت. وبعضهم رواها عن عبادة بن الوليد عن جده عبادة بن الصامت.

وكل من روى عنهم ليس فيها زيادة «إلا أن تروا كفراً بواحا» فهذه رواية الأبناء مع رواية غيرهم وهم الأكثر مروية بغير تلك الزيادة والأبناء أعلم برواية أبائهم من غيرهم. وقد وافقهم على ذلك الثقات, فثق وبالله الثقة بعدم صحة الزيادة

الفائدة الرابعة: استشكال الزيادة وتوضيح رواتها:

اعلم أن الذين رووا الحديث بهذه الزيادة «إلا أن تروا كفراً بواحا» وفي لفظ «ألا أن يأمروك بالكفر البواح». إنما رواه مسلم في صحيحه[1] بطريقه إلى بسر بن سعيد عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت

ورواه البزار في مسنده[2] بطريقه إلى يحيى بن أبي كثير عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة.

وكذا البخاري في كتاب الفتن[3] بسنده

ولنناقش الروايات فنقول:

ترجمة يحيى بن أبي كثير

أما رواية البزار فمن طريق يحيى بن ابي كثير عن جنادة بن ابي أمية وهي غير قويه

قال البزار عقب روايته للحديث: ولا نعلم روى يحيى بن ابي كثير عن جنادة غير هذا الحديث اهـ

فهذا قدح في روايته سيما وقد نسب يحيى إلى التدليس

قال العقيلي في الضعفاء: ذكر بالتدليس

قلت ذكرو من تدليساته عن أنس ولم يسمع منه وعن ابن سلام ولم يسمع منه وغيرهما

وعن همام قال: كنا نحدث يحيى بن ابي كثير بالغداة فإذا كان بالعشي قليله عنا.

---

(1) صحيح مسلم (228/12)
(2) مسند البزار (144/7)
(3) صحيح البخاري (60/9)

وكان يحدث من كتاب, فبعض روايته منقطعه لأنها من كتاب وقع له.

قال القطاف: مرسلات يحيى بن ابي كثير شبه الريح

قلت: كانفراداته فهي شبه الريح تهوي به الريح في مكان سحيق.

هذا وراجح ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي, وفي تهذيب التهذيب لابن حجر اختصرنا منهما

ويدل على التدليس في الرواية التي نحن بصددها وجهان:

الأول: انفراده إذ لم يرو عن جنادة غير هذا الحديث كما تقدم عن البزار

الثاني: أن السند الذي ساقه البزار معنعن والعنعنة تدليس, سيما ممن عُرف عنه التدليس ويحيى بن ابي كثير عرف عنه واشتهر.

وإذا كان يحيى يقلب الأحاديث في اليوم والليلة فحري أن يقلبها في الشهر والسنة بل في العمر كله.

وسنؤكد لك أن هذا الحديث مما قلبه يحيى بن ابي كثير

توضيح لتغيير لفظ الحديث

يؤكد القلب والتغيير أن غير يحيى ابن ابي كثير قدرووا الزيادة –وهم الأكثر- بغير الزيادة التي حكاها أو رواها ابن ابي كثير وقد ثبتت الواية الزيادة ولفظها «إلا أن يأمروك بمعصية لله» ويؤكد لنا هذا البزار في مسنده حيث قال: وقال غير يحيى «أن يأمروك بمعصية لله» اهـ

فيظهر لك أنها من يحيى بن ابي كثير لهذا السبب أو لغيره فتأمله موفقاً فلا احتجاج إذاً بتلك الزيادة التي رواها يحيى بن ابي كثير.

وروى أحمد في مسنده[1] بسند صحيح عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت وساق الحديث وفيه «فالم يأمروك بإثم». وهذا واضح ولله الحمد,

وأما رواية البخاري فقد رواها بسند معنعن عن إسماعيل بن ابي أويس عن ابن وهب

ترجمة ابن ابي أويس

وفيها إسماعيل بن ابي أويس فقد ضعف وكذب عندهم. قال المروزي كذاب وقد اتهمه بعضهم بالوضع واتهم بعدة تهم وقد أفردت له ترجمة مطوله في كتابي «شعاع الفرقدين» وقد نقلت أقوالهم على مذهبهم فيه فلا قبول لروايته عندهم فلا حاجة للإطالة.

وفي سنده عبد الله بن وهب ستأتي ترجمته –إن شاء الله تعالى-

---

(1) [321/5]

ترجمة أحمد بن عبد الرحمن الفهري

بقيت لنا رواية مسلم وفي سنده أحمد بن عبد الحمن بن وهب بن مسلم الفهري. وهو شيخ مسلم.

قال ابن يونس: لا تقوم به حجة

وعن ابن رزعة: أدركناه ولم نكتب عنه

قال ابن ابي حاتم: رأيت شيوخ مصر مجمعين على ضعفه ومن كتب عنه من الغرباء ولا يمتنعون من الرواية عنه

قلت: كمسلم فهو غريب لم يمتنع عن الرواية عنه مع تجنب البخاري والأربعة أهل السنن عن الرواية عنه بل امتنع مشائخ مصر عن الرواية عنه واجمعوا على ذلك لعلمهم بحاله

وقال أبو سعيد ابن يونس: لا تقوم بحديثه حجة.

وقال ابن الأخرم: نحن لا نشك في اختلاطه.

أنكر عليه أحاديث خلط فيها بل أنكر عليه حديثا وضعه في صلاة الوتر عن مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا.

قال ابن حجر: حديث موضوع على مالك.

وقد روى رجوعه لكن أبا زرعة لم يحسن حاله إلى التوثيق اصلاً سيما وقد اتهم بالخلط مؤخراً كما قال ابن ابي حاتم.

والخلاصة أن لا تقوم بحديثه حجة حتى أنه اتهم في خلطه في الرواية عن عمه عبد الله بن وهب, وهذا الحديث الذي نحن بصدده يرويه عن عمه المذكور.

عبد الله بن وهب الفهري

وعبد الله بن وهب عم أحمد المتقدم وعبد الله هذا في سند البخاري ومسلم فنقول وصفوه بأنه كان سيء الأخذ

قال أحمد: في حديث ابي وهب شيء عن ابن جرير, ويأتي بأشياء لا يأتي بها غيره

قال ابن سعد: ثقة فيما قال حدثنا, وكان يدلس

قلت: في رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن وهب عنعنة وهو مدلس فليس بثقة إذاً

وقالوا: كان صاحب سنة «ولا يخفاك أن المراد سنة معاوية كما يطلقون وهذا ظاهر»

قال النسائي: كان يتساهل في الأخذ

وقال الساجي: كان يتساهل في السماع

ونحن إن سلمنا توثيقه ففيما ما قال حدثنا كما قال ابن سعد وأما إذا عنعن فمدلس أو إذا تفرد فهو متكلم في حديثه. فهو في هذا الموضع منهم غير مقبول.

فبهذا بطلة الرواية من جهة السند وكذا المتن فبما تقدم ولله الحمد

الخلاصة حول الزيادة

إذا ثبت لنا بما تقدم بطلان الزيادة بلفظ «إلا أن تروا كفراً بواحا» وصحت الرواية بلفظ «إلا أن تروا إثماً بواحاً» وبلفظ «إلا أن يأمروك بمعصية لله» كما نقلنا عن البزار سابقاً وهي رواية الأكثر ورواية أحمد بن حنبل في مسنده بسند صحيح عن جنادة بن ابي أمية عن عبادة ابن الصامت بلفظ «مالم يأمروك بإثم».

ويدل أن المراد بالكفر في لفظ الزيادة إن صحت فهي بمعنى المعاصي والأثام كما قال النووي في شرحه لمسلم وكذا أن الكفر جاء على أنواع وكل راوٍ رواها على حسب فهمه بالمعنى وليتفق الكلام كله مع الرواية بلفظ «مالم يأمر بمعصية لله» وحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وغيرها.

وقال ابن حجر: ووقع في رواية حبان ابي النضير «الا أن يكون معصية بواحا» وعند أحمد من طريق عمير بن هاني عن جنادة «ما لم يأمروك بإثم بواحً اهـ[1]

قال القاضي الشوكاني في نيل الأوطار (184/7): ووقع في رواية إلا أن تكون معصية لله بواحاً» اهـ

وبه اتفقت الأحاديث كلها ولله الحمد والمنة فلا معارضة إذاً في الأحاديث والله ولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حوار مع شبهة الإجماع

وقد قال قائل: إنكم قد استدليتم بالإجماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلمنا ذلك إلا في الخروج على ولاة الأمر فنحن لا نسلمه إذ القول مشهور عند أهل السنة في عدم جواز الخروج على الظالم.

فأقول بموجب التحقيق والبرهان وبفضل لله المنان: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إجماع أمة محمد بن عبد الله –صلوات الله عليه وعلى آله- بل هو معلوم من الدين ضرورة.

وقد نص ابن الأمير في منحة الغفار على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معلوم من الدين ضرورة لا خلاف في ذلك. وذكر أن الكتاب سبق الإجماع ثم ساق الأيات الدالة على ذلك وقد قال بذلك غيره ممن تقدم وتأخر, ومنه فالجميع متفقون على ذلك.

---

[1] فتح الباري [8/13]

والشبهه إنما هي في الخروج على «ولاة الأمور» فقط وهذا مزعمه مستحدثه لفرقة محدثة هي طائفة أهل السنة والجماعة ويتسمون بذلك الأسم , وقد أتخذوه لهم شعاراًحاجباً عن تطبيق حكم الله وسنة محمد بن عبد الله مع ولاة المسلمين

وأنا لا أشك أن هذه الطائفة خالفة الإجماع , وذلك أن الإجماع قد تقدمهم وأنهم أحدثوها كقاعدة – أعني عدم جواز الخروج على الظالم – بعد إجماع المسلمين على وجوب الخروج وأنا ابرهن للقارئ الكريم أن الإجماع متقدم وأن مازعمته طائفة المسننه مستحدث فذلك يوضح البحث في الأمور التاليه:

الأول: هم – أي المتسننه- قد أجمعوا على عدم جواز نصب الظالم وأوجبوا معاداته وإنما لم يجوزوا الخروج على من غلب من الظالمين, والمعنى أنهم لا يرون نصب إمام ظالم وهذا لا خلاف فيه عندنا وعندهم وقد نص على هذا الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير في كتابه الروض الباسم. هذا وللغلبة كلام يأتي – إن شاء الله تعالى-

الثاني: إنه ومما يثبت لنا صحة ماقلناه أن الأمة علمت علماً قاطعاً أن الإمام الأمجد الحسين بن علي بن أبي طالب – عليهم السلام- خرج على ولاة الجور والطغيان أولئك الظلمة المجرمين , فكان الإمام الحسين(ع) عند الأمة جمعاً شهيداً, لامراء في ذلك ولا اختلاف. وهذا يدل على الإجماع دلالة واضحة

فنأخذ من هذا أن المتسننه لا يقولون بأن الخارج على أئمة الجور باغٍ ولا أثم وقد صرح بذلك النووي في الروضة[1]

إذ لو كان غير جائز عندهم الخروج على الظالم لأوجبوا على من خرج الفسق أو الإثم على الأقل ولقالوا : إن الحسين -عليه السلام- أثم لا محاله!!

فهذا السبط سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء – عليه سلام رب العالمين- علم بارز وشهيد فائز عند الأمة كلها وهذا يدلك على إستحداث مقالة المتسننه.

وإيضاً مما يدل على صحة ما نقول إنعقاد الإجماع على إمامة مولانا أمير المؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – صلوات الله عليهم- فلم يتخلف عن بيعته لا شيعي ولا مرجئ ولا معتزلي ولا غيره من سائر الفرق, وقد صرح بذلك العلامة نشوان بن سعيد الحميري في كتابه «الحور العين». وأما الرافضه فرفضة إمامته – عليه السلام- بعد البيعة كما ذلك معلوم.

فهذا إجماع منهم وأيضاً إجماعهم على أنه شهيد – عليه السلام- وهذا تصويب لفعله في خروجه على الظالمين كهشام ومن معه من الظآلين المبطلين.

ولقد أيدنا أن الذهبي لما ألف كتابه «ميزان الإعتدال» شرط فيه أن يذكر كل من تكلم فيه من أهل الرواية سواء كان ذلك بحق أو بغير حق. وقال الذهبي : لئلا يستدرك على كتابه.

---

[1] الروض الباسم ص 186

وقد ذكر عدداً من أئمة آل البيت ومن علماء وفضلاء الأمة في كتابه ذلك لما تكلم فيهم:

قال الحافظ الوزير في الروض الباسم [187] فحين لم يتذكر زيد بن علي – رضي الله عنهما- دل ذلك على جلالته وأن الذهبي على سعة اطلاعه[1] لم يعلم فيه قدحاً البته.

وأصرح من هذا أن الذهبي قال في كتابه «الكاشف» إن زيداً – رضي الله عنه- أستشهد بهذا اللفظ وهذا نص منه في موضع النزاع فإن الباغي ليس بشهيد إجماعاً اهـ

قلت: فتبين إجماع الأمة على شيئين هما:

الشيء الأول: تصويب سلف الأمة للإمامين الأعظمين الحسين بن علي وزيد بن علي بن الحسين – عليهم السلام- في خروجهم على الظالمين . وهذا إجماع بيّن

الشيء الثاني: إطلاق سلف الأمة وخلفها وحفاظها وفضلائها وعلمائها للإمامين الحسين وحفيده زيد بن علي بالشهداء فلا تراهم إلا قائلين: الشهيد, أستشهد – ونحو ذلك-

فلو كانوا غير محقين أو البغاة لما أطلق عليهم ذلك. وهذا إجماع واضح أيضاً.

نعم ومما ظهر وبين المؤرخين اشتهر إجماع الأمةعلى إمامة الإمام الأكمل بن الكامل محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية –عليه السلام- .

وكذا جاء من بعده أخوه النفس الرضية الإمام إبراهيم بن عبد الله (ع) – فقد أجمع

عليه المخالف دع عنك المؤالف[1]

فهذه أمور سابقة كم حكت إجماع من ضمتهم القرون الثلاثة الأولى.

ومنه أخي القارئ, ستعلم أن المنع من الخروج على الظالم أمر مستحدث وضعه الظلمة وأعوانهم من الولاة الجائرين وعلماء السوء المجرمين (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) [الأعراف:176]. وكان سبب وضعهم ذلك المانع الحاجز الحفاظ على كراسيهم الدنيوية وحرصاً على بسط ظلمهم وجبروتهم وتوسعاً في ممالكهم ليتغلبوا ظلماً وزوراً فلا تسمع من لله يغضب ويجاهد ويدعوا إلى ذلك.

---

[1] وشدة نصبه

[1] انضر ما حكيناه من الإجماع على إمامة أولاد الكامل (ع) في التحف الفاطميه شرح الزلف الإمامية

انسلخوا عن أيات القرآن المحكمة ودلائل السنة الصريحة الصحيحة, بل حاولوا إخراج بعض الأيات عن ظواهرها ونسجوا تأويلات غريبة هي أهون من نسج العنكبوت

فالإجماع إذاً هو في الخروج على الولاة الظالمين ودعاة الفساد والطغيان

زعامة التغلب

وقد قدمت لك أنهم لا يرون تولية الظالم لكنهم يرون أنه لا يجوز معارضته إذا تولى وغلب وبسط ولا تجوز منازعته.

ونحن إذا اتفقنا أن الحسين بن علي –عليه السلام- خرج ويزيد بن معاوية متغلب, باسط على الملك ثم اعترفتم أن الحسين شهيد وأن الإجماع انعقد على أن الحسين هو المحق وعدوه مبطل ضال مضل. وهذا واضح فيه وفي أمر الإمام زيد بن علي –عليهم السلام- وفيمن جاء بعدهم كما أوضحناه. لدليل قاطع يدلك على أن التغلب زعامة كاذبة وحجة داحضة.

فأما الغلبة فما أدري من أي وجهٍ أتت أمن كتاب أم سنة؟!!

ليس في الكتاب ولا سنة ما يدل على ذلك وأن من غلب من الأشقياء الظالمين فلا تجوز منازعته, وإذاً فهذا مسوغ يتخذونه ذريعة وأن الحق لمن غلب وصار الأمر جاهلية جهلاء ولم يبق للدين رآية ولن تبقى له راية ولا دولة ولا سياده فنعوذ بالله من الضلال والهواء.

وعلى أساس التغلب المزعوم التي افتعلته أيادي السياسة روو من أراد أن يفرق أمر الأمة وهي جميع فاضربو عنقه كائناً من كان.

فلولا هذا الخبر وأمثاله مما قدمنا مناقشتها لساد الدين وعلت كلمة المسلمين وإن كان المراد «وهي جميع» على دين الله لا على الباطل والإنهيار والهلاك. والسياسة ظاهرة في الخبر.

ألا ترى أن الناس لما استعظموا قتل أولاد النبي بسبب خروجهم على الظلمة الأشقياء هوّنوا هذا الأمر في القلوب برواية«كائناً من كان» تأمل وتفكر!!

فظاهر التغلب ظاهرة أساسها تأسيس ملك الظالمين المظلين فأضرارها كثيرة جدا.

فلو لا ظاهرة التغلب المزعومة ما تمكن معاوية من الجلوس في الكوفة للبيعة والناس تبايعه على البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[1]

وعلى هذا الأساس اعني التغلب المزعوم أقر الناس ببيعة الطاغي يزيد شارب الخمر وصانع الفجور.

---

[1] البيان والتبيان (85/2)

وعلى هذا الأساس المزعوم قالوا: لإن يجمع الله أمر أمة محمد على يزيد بن معاوية أحبُّ إليهم من أن يفترق.

وعلى هذا الأساس المزعوم اعتذر للشمر بن ذي الجوشن اللعين قاتل الحسين بن علي –عليه السلام- ممن جاء في أزماننا المتأخرة

واعتذر ابن الجوشن نفسه: بأنه في طاعة الولاة «المتغلبين» ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر[2].

وعلى هذا الأساس المزعوم هتكت الأعراض المصونه وسفكت الدماء البرية بل الأعظم حينما هتكت بسبب ذلك حرمات آل رسول الله وأضيعت مقدسات العترة الهادية وسفكت دماء شيعتهم, وذاع وشاع لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واتخذ سنة حتى استحبوا لعنه في الأوقات الفاضلة كيوم عرفات[3] ونحوها

وعلى هذا الأساس المزعوم اختلقوا ما لم يكن في الحسبان من الأعذار المفتعلة والأوهام المختلقة والمرجحات الواهية والسياسات الوقتيّه في الخلافة والولاية. فلم يجعلوا للإمامة والزعامه شرط العلم الكامل والخلق الفاضل والمعالم والمعارف والمدارج والمراتب ولا يجوز أن يخلع بما فعل من تعطيل أحكام الله وترك إقامة الحدود, وعليه فلا مانع أن يقودها من غلب ممن لم يرتض أحكام الله ولا سنة نبيه ولا شريعة القرآن ولا منهج الإسلام فجعل الأمر متساهلا بل من له شدة وفضاضة وعنف وتهور وقسر وتغلب فهو اولى من غيره والطاعة له واجبه تأمل وتعجب!!

فالأمة يتولاها صاحب الجبروت لتغلبه يتولاها مرتكب العظائم وأتي الجرائم ومقترف المآثم وثمت يقول زورا ويحكم غرورا.

فكم بدعاوي التغلب الفاشلة هتكت الحرمات وأهينت المقدسات وأضيعت الحقائق ودحض الحق الثابت ودحس العالم والصالح واختل الوئام واضطرب الأمن والسلام وتشللت أيادي الإسلام لقيام من طمع من أهل الأهواء والشهوات ومن لاخلاق له فيظلمه وجبروته تغلب وظل كل من إعتلا في القوة والقهر ملكاً متوجا سواء أكان طليقاً غاشما أو خماراً ساكرا أو مستهتراً مشاغبا من الذي اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وكتاب الله دغلا ودين الله حولا.

والواقع أن ولاية أمر المسلمين لم تجعل إلا لدحض المباطل والمبطلين وتنفيذ أحكام رب العالمين وتنفيذ سنن سيد المرسلين

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) [الرعد:16]

(أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [يونس:35]

---

[2] تاريخ ابن عساكر (338/6) , ميزان الإعتدال (449/1)
[3] أنساب البلاذري, البداية والنهاية (436/9)

دعاية إراقة الدماء

وربما تسبب بعضهم إلى أن الخروج على الظالمين يتسبب إلى ضرر أكبر وذلك يؤدي إلى اختلال واضطراب في الدولة والشعب وإلى سفك الدماء وربما إلى قتل القائمين بذلك.

وهذه التي تظهرها المصلحه وفي باطنها من قبلها الويل والخسران والدعايات المزيفة التي لاتمد الى الدين بصلة.

ففي تنفيذ أمر الله سبحانه تهون النفوس وتباع

في إمضاء أوامر الله عز وجل تسفك الدماء رخيصة بثمن عال هو الجنة

أفي زعزعة موسى لفرعون وظلمه ومملكته ضرر وهلاك؟!

موسى ينفذ أمر الله أمام الجبروت والطغيان, في طاعة لله وإن قتل وإن وقع ما وقع.

هكذا الرسل والأنبياء –صلوات الله عليهم- لابد وأن ينهضوا بأمر لله سبحانه وتعالى وإن ذهبت في ذلك دنياهم وزهقت أرواحهم

الم يقتل أنبياء الله ورسله؟. لأجل تبليغهم أوامر الله سبحانه؟!!

الم يقتل أصحاب الأخدود على دينهم وطاعة ربهم؟!!

لماذا وعد الله الشهداء بما لم يعد به غيرهم؟!

لماذا جعلت كلمة الحق أعظم الجهاد وأفضله عند السلاطين وفيها سفك الدماء البرية؟!

لماذا جعل الناهين للمنكر سادات أهل الجنة إن خروجوا فقتلوا؟!!

نحن نتوقع إراقة الدماء وفساد الدنيا والتوقع أشد من الوقوع

وأمر الدين أحتم من أمر الدنيا

(أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [التوبة:38] وهكذا العيش في عزة الإسلام ومعاملة الدين أوجب في الخروج على ولاة الظلم أهل الدنيا والغرور

وحب الحياة أنساهم حب الحياة الأخرة وأنساهم أبديتها

كل شيء رخيص أمام دينك الحنيف لترضي ربك, خالقك, مولاك ورازقك.

كل شيء يهون حياتك, دمك, روحك في طاعة مولاك, في الأمر بالمعروف الأكبر والنهي عن المنكر, في رفع رايات الدين, وحرية المؤمنين وفي نشر العدالة بين عباد الله المسلمين.

فإذا والي المسلمين غيَّر وبدَّل وحكم بغير حكم لله ولم ينشر بينهم العدالة وينصر المظلوم من الظالم فالدماء رخيصة في سبيل لله وأمام المطالبة بشرع لله وإقامة دينه الذي ارتضاه لعباده (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة:3]

إنما الفتنة العمياء والمصيبة العظماء والداهية الكبرى هو الرضى بغير حكم الله ففي ترك الدين فساد الأمم وهلاكهم وكثرة دمائهم, وبترك الدين وتطبيقه ينتشر الخوف والقلق ويكثر العيوس ويتوارد الضرر.

وربنا جل وعلا أراد لنا حياة العزة والسؤدد والإيمان والوثوق به –جل وعلا- والإستعانة به (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [آل عمران:126]

فبالدماء الزكية نصر الإسلام, والجهاد سنة الله في خلقه والتصارع من أجل الله والدين هو المطلوب والمحرم المذموم التصارع من أجل العيش في هذه الدار وطلب الراحة الخالية من العودة إلى الله, (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص:5]

صدق من قال

ولقد صدق الإمام محمد بن القاسم الرسي (ع) حيث قال في مجموعه: -أصناف الأمة- كلهم قد رأى السيف على ولاة الجور وقد خرج علماء أصحاب الحديث, فإنما يشك في هذا من لايرى ذلك ممن لاعلم له ولاخشية في قلبه.

وقال معقباًعلى من استحدث المنع من الخروج على الظالم العنيد: الذين رأوا السيف من الأمة أكثر ممن أدعى النابتة الحشوية.أهـ وسيأتي كلام العلماء حول هذا إن شاء الله تعالى.

فإذا نهى الناهي عن المنكر وقتل فهو شهيد بل من سادات الشهداء وحسبه أنه مع الإمام الحسين بن علي والإمام زيد بن علي ومع سائر ائمة الدين ومن معهم ممن خرجوا على طغيان الظالمين وأنكروا عمل المفسدين.

إنما الفتنة في العذاب والظلم والاستعباد والإستذلال من العبيد على العبيد أمثالهم .تلك هي الفتنة.

وخروجك لنهي المنكر الذي نهى الله عنه نصر وظفر وليس النصر والظفر هو أن لا تقتل في سبيل الله قال الله على لسان المجاهدين مرداً على المنافقين (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) [التوبة:52]

فالشهادة في سبيل الله عز ونصر وكرامه(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)[الأنفال:10]

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد:7] وتحتم الوجوب نصرة للمظلومين من الظالمين حيث قال العزيز الخبير (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) [البقرة:246]

الفتنة في الأستضعاف والذل (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا) [النساء:75] كانت هذه الأدعية سبب قاطع في وجوب الجهاد وإعلاً دين الله.

الله الذي أمرنا بالقتال للظالمين وجعل الفتنة في الخضوع والأستذلال فقال (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) [الأنفال:39]

وقال عز من قائل حكيما(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة:14-15]

فترى حل القتال والدماء لتنتهي الفتنة ولذلك رد على من دعا إلى الإستعباد والخضوع فقال سبحانه وتعالى (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة:217]

(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة:191]

فالدماء واجب تقديمها على الذلة والعبودية.

ضرب مثل كرر في القرآن الكريم

كان طلب موسى –صلوات الله عليه- من فرعون اللعين أن يرسل معه بني إسرائيل (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) [طه:47]

(أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء:17]

حضارة مع الإستعباد

ورغم هذا النداء الذي لم يستجب فرعون –اللعين- له إلا أن موسى يكرر الطلب مرة أخرى, فيظهر فرعون حضارة قدمها ليقنع الناس بالرخاء والحرية لأن العبودية والإستذلال لبني إسرائيل من الفراعنه فلذلك قال الله (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [القصص:4]

(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) [البقرة:49]

حضارة يسودها التقدم حيث يقول الله (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) [الفجر:10] وهذا بناء حضاري شامخ, يشهد لفرعون في التقدم الحضاري

لكن بسبب الظلم لبني إسرائيل قال الله عن فرعون ومن معه (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) [الفجر:11-12]

وفرعون –اللعين- رجل يحاول استبعاد الناس عن طاعة الله ويذكر ما يمتن به على موسى –صلوات الله عليه- من التربية والإنفاق.

فيقول (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) [الشعراء:17-18]

فهذه الدعوى من فرعون واقعية فقد أعطاه وفعل وفعل ولكن هل يحق لموسى أن يتنازل عن الدين والظلم.

موسى يجعل ظلم بني إسرائيل أعظم مما ذكر فيقول الله على لسانه (وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) [الشعراء:22]

فأمر الظلم والإستذلال لبني إسرائيل أعظم لأن الذل لا يرتضيه الله –سبحانه- وأما ما ذكرت فنعم الله دنيوية الله هو الرازق وهو الهادي (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات:58]

هنا سترى أن انبياء الله ورسله –عليهم الصلاة والسلام- قد تركوا زينة الحياة الدنيا وزخارفها وحضاراتها وضحوا بالغالي والرخيص من أنفسهم وأموالهم لخدمة دين الله وقمع الظالمين.

فحضارة فرعون التي تمتدح بها وحكاها الله على لسانه (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الزخرف:51] والتي استخف بها قومه. لا تنفعه عند الله.

فالدين لا يهدم الحضارة وموسى لم يأمر بهدم الأوتاد ولا الأبار ولا غيرها ولكن لا بد أن تكون تحت رعاية الدين وما خالف الدين فليس بحضارة ولا سؤدد

إذا كـــان تـــرك المـــوت يغنـــي تقـــدما   فيـــا نفـــس مـــوتي قبـــل أن تتقـــدم

وفي القرآن من هذه الأمثال (مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) [فاطر:37] (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر:17] هل من مفكر, معتبر؟!!

هناك شيء أغلى وأعلى من الدماء الزكية.

ذلك الشيء هو دين الأسلام. والتمسك به.

والأخرة هي حياة الأبد التي هي أعظم وأجل وأفضل من زخارف هذه الدار

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران:185]

(وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يوسف:57]

(وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) [الضحى:4]

(فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) [التوبة:38]

(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) [آل عمران:198]

رابعاً: مؤيدات:

شهادات العلماء على الوجوب

فإذا علمت بما تقدم تزاحم أدلة الكتاب وصحاح سنة الرسول الأعظم –صلوات الله عليه وآله- وإجماع أهل الصدر الأول على وجوب الخروج والنهي عن المنكر وأن المنع حيلة سياسية فرضتها واستحدثتها أيادي الدول الظالمة الأموية

ولعبتها دولة الجور العباسية ومخزيات تشدد عليها من تأخر وأنكرها من تقدم ونهى عن إضاعة الدين وظهور المنكر ولفت صحب كلام العلماء كؤيدات,

يقول الجوبني في كتابه «الغياثي»: أما إذا توصل من ولي الأمر العصيان وفشا منه العدوان وظهر الفساد وزال السداد وتعطلت الحقوق وارتفعت الصيانة فالبدار البدار من استدراك هذا الأمر المتفاقم. ثم تعرض إلى الغلبة والنظر الى التوقع والوقوع فقال فالوجه أن يقاس ما الناس مدفوعون عليه مبتلون به بما يفرض وقوعه فإن كان الواقع الناجز أكثر مما يتوقع فيجب احتمال المتوقع اهـ[1] باختصار منا

والمعنى إذا رأى الناس جماعة اندفعت لإنكار المنكر وجب النهوض ولابد من وقوعه

وناهيك أخي القارئ: أن بعض من تأخر اضطر إلى النيل ممن خرج على أهل الجور الظالمين وادعى إجماع المتقدمين والمتأخرين على التحريم غافلاً عما قدمناه من خروج الفضلاء والعلماء الهداة.

فهذا أبو بكر بن مجاهد المقري ادعى الإجماع على تحريم الخروج على الظلمة للمسلمين

فهي دعوى ماحلة ناحلة رد عليها القاضي عياض منكراً لكلامه: بقيام الإمام الحسين وابن الزبير وخروج أهل المدينة وفنيهم صحابة وأبناء صحابة على بني أميه

وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع الأشعث قال: وتأول هذا القائل بالجواز قوله «(لاننازع الأمر أهله» في أئمة العدل[1].

ورد ابن حزم الأندلسي على المقري بخروج الحسين بن علي وأصحابه على يزيد بن معاويه وبخروج ابن الأشعث ومن معه من التابعين وخيار المسلمين على الحجاج بن يوسف.

قال ابن حزم: أترى هؤلاء كفروا؟!! بل والله من كفرهم فهو أحق بالتكفير, ولقد يحق للمسلم أن يزم[2] لسانه ويعلم أنه مجزى بما تكلم به مسئول عنه غداً.

قال: ولو كان خلافاً يخفى لعذرناه ولكنه أمر ظاهر لا يخفى على المخدرات في البيوت

ذكره في كتاب «الإجماع» ورواه عنه الريمي في كتابه «عمدة الأمة في إجماع الأئمة»[3]

---

[1] الروض الباسم (187)
[1] شرح صحيح مسلم للنووي (229/12)
[2] من زمّه يزمه إذا شده والمعنى يربط لسانه فلا يتكلم إلا بالحق
[3] الروض الباسم (188)

وعقب العلامة الحافظ الوزير على كلام القاضي عياض وابن حزم بما لفظه: وفيه اتفاقهم على تحسين ما فعله الحسين –رضي الله عنه- مع يزيد, وابن الأشعث وأصحابه مع الحجاج وأن جمهورهم قصروا جواز الخروج على من كان مثل يزيد والحجاج ومنهم من جوز الخروج على كل ظالم اهـ

وقال القاضي عياض: ولا يجب الخروج على المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحققوا العجز لم يجب القيام وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه.

قلت: فظاهر كلام القاضي عياض الوجوب ومهما وظنوا قدرة التأثير ولو لم يتحققوا وجب الخروج ومن اعتقد في الله النصرة واستمدها منه قام بذلك قال سبحانه وتعالى (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) [البقرة:249] فمتى ما وجدت الطائفة التي يزيد عددهم على ثلاث مئة رجل وبضع عشر رجلا الخروج كما فعل أصحاب طالوت (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) [آل عمران:126] (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال:62] (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد:7] (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) [الأنفال:17] فمنه النصر والإعانة

فلله الحمد وله المنة

وللنووي كلام مفيد في قتال الفتنة وذلك في القتال بين المسلمين ولفظه: وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة أئمة وعلماء الإسلام يجب نصر الحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى (فقاتلوا التي تبغي...)الأية. وهذا هو الصحيح وتتأول الأحاديث «التي تدل على تجنب القتال في الفتن» على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ولو كان كما قال «من قال بعدم جواز القتال في الفتن» لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون والله أعلم[1] اهـ

وكذا أشار المناوي إلى نحو هذا الكلام وكذا قال: يلزمه السعي في إزالة الفتن عيناً وكفاية. وقال: لقد خرج كثير من السلف على ولاة الجور. وقال: وصاحب السلطان إذا أمرة بمعروف تعرض للتلف فهو أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر لأن ظلم السلطان يسري إلى جم غفير فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير بخلاف قتل كافر.

وقال: أما مجاهدة الكفار فباليد والقلب والقالب وأما الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب[2].

كلام ابن القيم في قتال المنافقين

---

(1) شرح صحيح مسلم (10/18)
(2) فيض القدير (30/2), (481/3), (146/4)

قال ابن القيم وغيره: وجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراد في العالم والمعانون عليه وإن كانوا هم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً ومدداً[3] اهـ

ورد ابن الأمير على من استحدث القول بمنع الخروج على الظالمين في كتابه «منحة الغفار» وأطال وقد أفرد رسالة مستقلة في الرد على من أنكر على الأئمة في خروجهم على الولاة الظلمة ونختار نبذاً من كلامه.

فقال في كلامه على من عدَّ الخروج على الظالمين خروجاً عن الجماعة ما لفظه: هذه غفلة من قاعدة متفق عليها بين العلماء أجمعين من أئمة الآل وغيرهم من علماء الدين وتحقيقها: أن الخروج على الظالم من باب إنكار المنكر ومن ناحية أخرى ليس هذا هو المقصود من لفظ الجماعة كما اورده القرآن إذ قال تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران:103] فمدد الجماعة في العتصام بحبل الله والمخالفة المنهي عنها في الأفتراق عنه وحبل الله هو الكتاب والسنة, وقال تعالى (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى:13] فالمفارقة المنهي عنها هي الإفتراق عن الدين لا عن الخلفاء الظالمين.

قلت: فمن خرج عن الكتاب والسنة فهو خارج عن الجماعة فالظالم خارج عن الكتاب والسنة مفارق للدين وجماعته.

وقال ابن الأمير –رحمه الله- : إن أحاديث النهي عن فراق الجماعة إنما تصدق فيمن يخرج طالباً للملك لا يخرجون على الظالم لظلمه بل ينالوا ملكه ويسيروا في العباد سيرة من حاربوهم.

ثم رد على المتسمين بأهل السنة والجماعة قائلاً: زعمت الأشعرية أنهم المقصودون بالجماعة في الحديث وسموا أنفسهم أهل السنة والجماعة وأنهم هم المنهي عن فراقهم, وقد أشار إلى ذلك الزمخشري في تفسير سورة الأعراف قائلاً: سموا هواهم جماعة[1], وهذا تفسير باطل لأن هذه التسمية لم تكن حادثة على عهد رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- ولا يصح تفسير كلامه إلا بما عرف لغته, ومن المعلوم أن الأشعرية قد ابتدعت بدعاً في الكلام مذمومه مخالفه لما عليه سلف الأمة ففراق ماهم عليه من الإبتداع فأُمِرو لامنهي عنه, فليسوا بأهل سنة ولا جماعة. وقد بسطنا هذا في كتاب: الانفاس اليمنيه الرحمانيه في الرد على بعض علماء الأشعرية.

قلت: ثم قال: المراد بالجماعة الإجماع.

ورد العلامة المقبلي في حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» بأنه يفيد أن الإمام لابد وأن يكون من اهل المعرفة وله الصفات الموجبه لطاعته[2]

---

[3] فيض القدير (366/3)
[1] البيت هكذا: لجماعة سموا هواهم سنة
[2] المنار (471/2)

قلت: مع أن الاحاديث قد قيدت في الصحيح بلفظ «إن كان عادلاً» وتأويل المقبلي يوافق ذلك

وقال: « وقاتلوا التي تبغي» وهو يفيد الوجوب لا الجواز فقط, والأية إنما تدل على وجوبه فالمخل به مخل بواجب[3]

وقال: وأما طاعة ولي الأمر فإنما هي ما لم نتنازع نحن وهم, أما لو تنازعنا حكّمنا الكتاب والسنة كما هو صريح الأية وقد طولنا في تحقيق هذا في «الأرواح»[4] اهـ

وقد أطال العلامة المقبلي في [«الأرواح النوافخ[1]»] وننقل طرفة منه

فقد قال: غي أنه لما أراد إبليس تقرير هذه –لما يترتب عليها من المفاسد كما قررناه- وصاح فيهم فاستفز من استطاع منهم بصوته وأجلب عليهم بخيله ورجله وقال لملوكهم: مازال الناس يشوشون عليكم ملككم بهذه الفرق التي يقوم لها الدعاة إلى الأمر وترميكم بالجور وتوقع في قلوب العامة مايؤول الى ضعف أحوالكم, فقرروا مذاهب أربعة لأن هذه الأربعة يقررون أمر الجائر ويصبرون على جوره لأنه أصلح من شق عصا المسلمين, وغيرهم لايرى ذلك, ومعاونوهم على ذلك علمائهم فمهدوا لهم

وقال: وكان الأقرب إلى غرض الملوك رأي العامة ثم انحاز إليهم العلماء ضعفاً وطلباً للعاجل واستقر الأمر على ذلك في جميع المذاهب الأربعة وغيرها اهـ

ولله در العلامة المقبلي فقد ذكر أن سبب عزل مذهب آل البيت عن الناس هو الخروج على الظالمين, وأن المذاهب الأربعة تكونت بسبب منعها من الخروج على ملوك الدنيا أمراء الجور وولاة الفسق فجزى الله المقبلي خيراً عن هذا الكلام فهو إنصاف حرٍ, يريد أن ينقذ نفسه من النار

وأما المذاهب الأربعة فبسبب الأتباع أما ائمة المذاهب الأربعة فقد رأوا الخروج على الظالمين وقاموا مع ائمة الهدى. وسيأتي ذكر ذلك –إن شاء الله تعالى-

وقال الشوكاني بعد خروجه عن مذهب الآل في وجوب الخروج مالفظه: ولكنه لاينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على ائمة الجور فإنهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم وهم أتقى لله وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم[2] اهـ

الأمر الأعجب

---

[3] المنار (484/2)
[4] المنار (461/2)
[1] الأرواح النوافخ على العلم الشامخ (490-499)
[2] نيل الأوطار (186/7)

ومما يزيدك عجباً أنهم لما علموا قطعاً أن الحسين بن عل –صلوات الله عليهما- خرج على الطاغي الظالم الباغي المجرم يزيد بن معاوية ولم ينكر عليه منكر فكان إجماعاً تألم بعض التأخرين لذلك فحاول ذم الإمام الحسين بن علي –عليهما السلام-

قال الإمام المهدي (ع) : واعتقدت الكراميَّة بغي الحسين بن علي على يزيد بن معاوية[3].

قال المقبلي: هذه الشنيعة لازمة لزوماً لا انفكاك عنه لمن أوجب طاعة المتغلّب ولذا روي عن ابن العربي شارح الترمذي وهو من خيار ائمة الفقه والحديث في المالكية فقال: ما قتل الحسين إلا سيف جده, فجرى على القاعدة تجلداً وجبّن غيره

مهـــزول مـــابين هـــذا وذا فــلا ذا تـــأتى ولاذا حصـــل

وجميع القائلين بوجوب طاعة المتغلبة جروا على القاعدة في أهل بيت النبي- صلى الله وسلم عليه وآله- بعد الحسين: زيد بن علي ومحمد بن عبد الله وأخيه وسائر أئمةأهل البيت وهم شعبة من الحسين «ذرية بعضها من بعض» وسيرهم معروفة مكشوفة للمؤالف والمخالف مع كثرة عددهم في كل عصر قلّما خلا عصر من إمام, فلو سار منهم نادر بخلاف سيرة أهله لم يكن من الطراز الذي كلامنا فيه, وما زال عدوهم –في الأغلب- من طراز يزيد بين الضال والأضل.

وقال: ولذا لم يقم في وجه الناقص والأمشج احد[1].

وقال الشوكاني: ولقد أفرط بعض أهل العلم الكرام ومن وافقهم في الجمود على أحاديث الباب – أي من طاعة الوالي وإن كان ظالماً- حتى حكموا بأن الحسين السبط –رضي الله عنه وأرضاه- باغ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية-لعنهم الله- فيالله العجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدع من سماعها كل جلمود[2] اهـ

وقال العلامة ابن الأمير في منحة الغفار: ولا ينبغي أن ينكره أحد من طوائف الإسلام لأن الإنكار للمنكر بشروطه واجب من ضرورة الدين بل لأجله كانت بعثة النبيين والمرسلين.

وأما من قال[3]: أنه لايخرج عليه «أي لايحل الخروج على الظالم» بحال وإنما يجب وعظه فإنه كلام مبني على غير تحقيق لأن الأحاديث الواردة بعدم قتاله مقيدة بما علم من ضرورة الدين من وجوب إنكار المنكر.

وقال: وتعلم جهل من قال: إنما قتل الحسين بسيف جده وأنها كلمة حمقى صادرة عن غباوة وعدم تحقيق اهـ

---

[3] البحر الزخار (379/6)
[1] المنار (464/2, 465)
[2] نيل الأوطار (186/7)
[3] القائل هو النووي كما في شرح صحيح مسلم.

ورد عليهم العلامة العباس بن أحمد في تتمة الروض النضير ونقل كلام الأمير السابق

نضيف كلام معدن الرسالة عليهم السلام

وكفى بقول الإمام الأعظم زيد بن علي –عليهما السلام-: ليس شيء من الأعمال أفضل من جهادهم أي الظالمين وهذا الكلام في مجموعه الشريف.

ومن كلام له (ع) أخره: ولكن ما أعلم شيئاً أرضى لله –عز وجل- مني من جهاد بني أمية[1]

وقال (ع) لأصحابه: والله ما أمسى على وجه الأرض عصابة أنصح لله ولرسوله وللإسلام منكم.

ولما خرج الإمام إبراهيم بن عبد الله (ع) سئل شعبة عن ذلك فقال: تسألوني عن إبراهيم وعن القيام معه, تسألوني عن أمر قام به إبراهيم بن رسول الله والله لهي عندي بدر الصغرى.

وقيل القائل هو سعيد بن المسيب.

وعن الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية (ع) : والله ما يسرني أن الدنيا لي بأسرها عوضاً عن جهادهم.

أئمة المذاهب

حسبك أن أئمة المذاهب الأربعة لا يمنعون من الخروج على الظالمين ولو لم يكتف الإنسان المتعصب بما قدمنا فسيقتنع بهذا وإطباقهم عليه

فقد ناصر أبو حنيفة –رحمه الله- الإمام زيد بن علي –عليهما السلام-

وقال لما أرسل رسوله بأربعين درهم للإمام زيد: وأحسن العذر عنده,

وقيل أن امراءة سألت عن قتل ولدها مع أحد الأئمة وأنه أفتاه فقال: أبنك ممن شهد بدراً أو نحو ذلك

وناصر الإمام مالك بن أنس –رحمه الله- الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية –عليه السلام- وأفتى الناس ببيعته وأن بيعة الدوانيق مكرهة ليست بصحيحة فأوذي وسمَّ بسبب ذلك.

وناصر الإمام الشافعي –رحمه الله- الإمام يحيى بن عبد الله –عليه السلام- ودعا الناس إلى الخروج معه فأوذي وحبس وذلك بسبب نصرته للدين

وقد ذكر هذا عن الأئمة –رحمهم الله- ابن الجوزي والعمري في كتابه «الرياض المستطابة» وغيرهم[2]. فها قد رأيت أن كل واحد من هؤلاء قد بايع لإمام من

---

[1] أخرجه الإمام ابو طالب (ع)

[2] راجع الموضوع في رسالتنا «أسانيد آل محمد»

أئمة أهل البيت –عليهم السلام- وفي ذلك دلالة قاطعة على أنهم كانوا يرون الخروج على أئمة الجور وولاة البغي والطغيان

وللأسف فإن من أدعى النسبة المذهبية إليهم من الذين قلدوهم إتبعوا سياسات الحكام وقرارات الدول الظالمة, وتركوا من يدعون الإنتساب إليهم في المذهبية, فترك هؤلاء ما علم من ضرورة الدين وما عليه أئمتهم في التقليد واختطوا خطوات السلاطين وخالطوا الظالمين وزعموا أن الخروج لإنهاء المنكرات من فساد الأمة ومن ضياع الدين (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) [سبأ:52]

لو كان ذلك تفريقاً وفساداً –كما زعموا- لكان في بعثة الأنبياء والمرسلين مفرّقة بين الجماعة مفككة لشمل الأمة الواحدة وإذا كنت ذكياً فتأمل قول الله جلت قدرته (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) [البقرة:213]

فتراهم قد أجمعوا على الضلال والكفر فوجب تغيير ذلك وتمزيق تلك الأمة الواحدة, فليست أمة حتى تكون مع الحق أمة دين وعليه فيجب احترامها ورفعتها وأما الأمة التي على الضلال وإن اجتمعت فلا يجب إلا تمزيق صفها الهالك حتى ترجع إلى الله وتأوب

والجماعة: هم أهل الحق وإن قلوا,

والفرقه: هم أهل الباطل وإن كثروا

فالفتنة العظيمة والمصيبة الكبيرة هي في عدم الإهتمام بالدين وتغيير المنكر

فمن أراد ذلك فحكم الله طلب وأمر بتمسك جماعة المسلمين وتمسكهم, فإنها إن لم تتناه عن المنكر هلكت وصارت تبعاً للشيطان الرجيم وتبعاً لأهويتهم وكما قال الله رب العالمين (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) [المؤمنون:70, 71]

وكما قال الإمام الأعظم زيد بن علي –صلوات الله عليه- : ما ذكر الله القلة إلا مدحهم ولا ذكر الكثرة إلا ذمهم.

وقد ألف –عليه السلام- رسالة كاملة في الإستدلال على ذلك ومن قرأ القرآن وتأمل ذلك عرف أن الحق لا يعرف بالرجال وكما قال أمير المؤمنين علي (ع): اعرف الحق تعرف أهله.

ولعلي قد أسهبت وذلك توضيحاً للحجة ولمن ألقى لنا سمعه وهو شهيد.

نـــدآء

إخوة الإيمان: لنلاحظ من خلال دراسة هذا الأمر المهم من ولاة أمور المسلمين سابقاً أمراً اما.

سنلاحظ أن كل واحد من الماضين كان يبايع البيعة من المسلمين على الكتاب والسنة بما فيهم الخلفاء وغيرهم

فهذا الخليفة أبو بكر خطب المسلمين فقال: أيها الناس إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني,

وقال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله وإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم

وقال: وإن عصيت الله ورسوله فقوموني بسيوفكم[1].

وهذا مبني منه على وجوب الخروج على الوالي ويؤيد ذلك ما روي مرفوعاً «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين[2]»

وكانت البيعة لأبي بكر ثم لعمر على شرط العمل بالكتاب والسنة وكذا عثمان وإلا فلا طاعة لهم.

ومما يدلك على ذلك أن المعادين لعثمان ادعوا ظلمه فلم ينكر أنصاره خروجهم لذلك إنما بينوا أحقيته ولذا لم يذكروا حديثاً واحداً رووه بعده

وكتب ابن عمر بيعة لعبد الملك بن مروان: إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت[3].

وللأسف لو كان ذلك من ابن عمر إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام- هذا وقد جاء عن الكثير ذلك ولم يعر فخلافه فيجب العمل به وستعلم حقيقة الإجماع من بع وفاة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- على أن طاعة ولاة الأمر في ظل طاعة الله ورسوله

وهنا يجب عليك أيها المؤمن أن تؤدي واجبك وتنادي مجتمعك وأهل بلدتك ثم الأمة جميعاً بالوقوف صفاً واحداً مع القائمين بالقسط أي بالعدل بين الناس.

ونداء المسلمين لا للظلم لا للجبروت لا للذلة لا لمخالفة القرآن والسنة

وهنا لن يتفرق صفنا لان المعاصي لأن المنكرات سبب تفريقنا وتمزيقنا واستعمار الكافر لنا واحتلال بلادنا.

الواقع يشهد

نشاهد من خلال الواقع الذي عشناه وعرفناه وذلك أن حاكم العراق هو «صدام حسين»

رجل استخدم سياسة الظلم والجبروت.

صار في كل ذهن رجل عراقي في ليله ونهاره.

يتخيله الجميع, حكم الظلم والقتل والأسر والإضطهاد

---

[1] راجع رواية ذلك عند ابن عساكر والطبري في تاريخه والروض الأنف للسهيلي
[2] البخاري في صحيحه (78/9)
[3] البخاري في صحيحه (96/9, 97)

تواجد الشيعة في العراق بكميات هائلة, يخافون نظام «صدام العراق» أو «هدام العراق»

لكنهملم يتجاسروا على نهي المنكر, لأنهم لايرون الخروج على ظالم يحكم بغير ما أنزل الله, ويقتل العلماء. يستعبد الناس.

ومن هنا وقعت الفرقة, هنا الشتات, هنا التخلف والإنحطاط الديني بكامله ومن هنا جاءت أمريكا وإسرائيل تطالب بإصلاح العراق لتحقق الهدف باسم الحرية.

صدق الناس ظن أمريكا وإسرائيل.

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ) [سبأ:20]

فظنوا أنهم يريدون القضاء على «صدام العراق» لا العراق

يا حسرتاه تركوا صدام لأنه ظلمهم, عذبهم, قتلهم, فعل بهم كل موبقه............

أمريكا وإسرائيل تطالب بحرية العراق؟!!

(وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [سبأ:20]

القرآن يبطل ما تزعمه أمريكا وإسرائيل

(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة:120]

فكيف صدقوا أباطيل اليهود والنصارى؟!!

وبالفعل دخل المارد العنيد الكافر بلاد المسلمين في العراق.

أخذوا صدام العراق فهل خرجوا من العراق؟

ما طلبوه في الظاهر قد وجدوه.

مواعيد عرقوب. زيف وتضليل.

ولا تزال بلاد العراق المسلمة في ضياع وحرب وقتل وأسر واستعمار واغتصاب والسبب أن المسلمين لم ينهو عن المنك المخوف الذي أمروا بتغييره.

أمريكا وإسرائيل تأخذ ثروات العراق, بترول العراق, كل مستحقات العراق.

والمسلمون في العراق بين الإنتهاك والأسر والقتل والتعذيب وحتى اليوم.

والله سبحانه يقول في محكم التنزيل (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) [الأنعام:129]

إنهم لو خرجوا على الظالم المجرم لما سكتوا بل أعانوا أمريكا الكافرة الماردة في الدخول للقضاء على الظالم العنيد المارد!! فتعجب ولم لا تتعجب؟!!

وهذا المثل حسبك آيها الناظر وتلك سياسة الخبيث اليهودي الكافر.

ونحن نسينا أو تناسينا القرآن الكريم, فلذلك أيدنا اليهود والنصارى وسياساتهم اللعينة بدعوى أننا لا نعلم ذلك

والقرآن قد كشف ذلك وديننا حلَّ لنا جميع مايشكل علينا من أمر اعداءنا.

ففكرتي العابرة قد اتضحت أمامك –ايها القارئ- ونكون فهمناها, وفكرنا فيها جميعا لنيل السعادة في الدنيا والأخرة

وذلك في ضوء الكتاب العزيز الذي عالج كل زمن بعلاجه فوضعنا الراهن قد أوضح القرآن الكريم تلك السياسة الكاذبة لأن القرآن «من الله الذي يعلم السر وأخفى» يعلم ما تدوره الضمائر وما في نفسياتنا فلذلك جاء العلاج القاطع في منهاج (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت:42]

هذا القرآن الذي أوجب كفاح الظالمين وجهادهم بالقرآن (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [الفرقان:52]

وجهادهم بالسيف (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) [الأنفال:39]

(فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) [الحجرات:9] (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ) [التوبة:12] (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة:73] (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) [الأحزاب:61, 62]

ولقائل أن يقول: ذكرت الخلفاء وغيرهم من القائلين بالخروج ولم نرك ذكرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام- ؟! فالجواب قد نقلنا فيما سبق وهو رائد ذلك لأنه وصي رسول الله وباب المدينه ولنختر شذرات من أقوال المؤمنين: «تابعوا الحق من أهله»

هذا المثل الواقعي يشهد لصحته قول الله رب العالمين وصحاح سنة محمد النبي الأمي وقد قدمنا ذلك

ويشهد لصحته قول من يدور الحق معه حيث دار كلام قطب الاحتجاج وبيان الحجة ومزيل كل شبهة مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب –صلوات الله عليه-

فقد ذكر (ع) البلاء على العباد من ولاة السوء والفسق فقال: ذلك بما كسبت أيديكم ورضاكم بالدنية في الدين, ولو أن أحدكم إذا اظهر الجور من أئمة الجور باع نفسه من ربه وأخذ حظه من الجهاد لقام دين الله على قطبه.... ولرضيتم من ربكم فنصركم.

فترى أن من كلامه –عليه السلام-: يكون في أخر الزمان قوم نبغ فيهم قوم مراءون فيتقرأون ويتنكسون لا يوجبون أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر إلا إذا أمنوا الضرر

يطلبون لأنفسهم الخص والمعاذير, يتبعون زلات العلماء, وما لايضرهم في نفس ولامال , فلو أضرت الصلاة والصيام وسائر مايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها, وقد رفضوا أسنم الفرائض وأشرفها الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر سبيل الأنبياء, ومنهاج الصالحين «الأتقياء» فريضة بها تقام الفرائض وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء فأنكروا المنكر بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم.

وأوحى الله إلى نبي من انبيائه[1]: أني معذب من قومك ماءة الف, أربعين الفاً من شرارهم, وستين الفاً من خيارهم فقال: يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟!

قال: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي.

قلت: وهذا القول هو مصداق ما توعدنا الله به حيث قال (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) [الأنفال:25] ومصداق ما توعدنا به نبينا –صلوات الله عليه وآله- في كثير من الأخبار, وقد تقدم ذكر بعضها. ولله الحمد والشكر.

وجوب قتال البغاة

تابع أقوال أمير المؤمنين

وقال أمي المؤمنين –عليه السلام-: ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلَّبت ظهره وبطنه فلم أر لي إلا القتال أو الكفر.

ولنسأل: ما سبب ذلك ياأمير المؤمنين –عليك سلام الله- فأفتنا؟

فأجاب –عليه السلام- قائلاً: إنه قد كان على الناس والٍ أحدث أحداثاً وأوجد الناس مقالاً, فقالوا: ثم نقموا فغيروا.

فترى أن السبب هو العصيان وإظهار المنكر والطغيان

قال الشيخ محمد عبده: والمراد في الكفر في كلامه الفسق لأن ترك القتال تهاون بالنهي عن المنكر وهو فسق لا كفر اهـ

وقال –عليه السلام-: آيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإن شغب شاغب استعتب[2] فإن أبى قوتل

وقال –عليه السلام-: وقد فُتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة , ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والعلم بمواقع الحق.

وقال –عليه السلام-: ألا وإنه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم من كتابه ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم.

وللإمام علي –عليه السلام- كلام كثير في ذم ولاة الجور ووجوب قتالهم ومنه ماذكره صاحب البداية والنهاية من كلام امير المؤمنين –عليه السلام- يخاطب عثمان بن عفان أيام حصاره وهو طويل فراجعه هناك إذا كان إليك رغبة في الإطلاع والبحث وفيما نقلناه كفايه

من أقوال الآل

---

[1] هو يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام
[2] استعتب: طلب منه الرضا بالحق

قال أمير المؤمنين الحسين بن علي –عليهما السلام- : لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رئاء ولكن خرجت في إصلاح أمة جدي.

وقال أمير المؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي –عليهم السلام- لما خفقت الرايات: الحمد لله الذي أكمل لي ديني, والله ما يسرني أني لقيت محمداً –صلى الله عليه وآله وسلم- ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر, والله ما أبالي أن أججت لي نار ثم قذفتُ فيها ثم صرت فيما بعد ذلك إلى رحمة الله, والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد –صلى الله عليه وآله وسلم- وعلي وفاطمة والحسن والحسين –صلوات الله وسلامه عليهم.

وقال –عليه السلام- لأصحابه: والله لا أعلم عملاً أرضى لله تعالى من قتال هؤلاء يعني بني أمية.

وقال –عليه السلام-: والله لا يعينني عليهم أحد إلا جاء يوم القيامة أمناً حتى يجوز الصراط

وكان –عليه السلام-يقول في بيعته: إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وآله وسلم- وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين.

حكاية

قام عامر بن ربيع العندي إلى الإمام زيد وقال: ياأبا الحسين أرأيت إن كنا على الحق ألست أعظمنا أجرا.

قال الإمام: بلى

قال عامر: أرايت إن كنا على الباطل الست أثقلنا ظهراً؟

قال الإمام: بلى, والله الذي لا إله إلا هو, ياأخا عذرة قاتل, فإنا والله لعلى الهدى إنهم لعلى أبطل الباطل اهـ

وصدق الإمام المهدي محمد بن عبد اللع النفس الزكية (ع) حيث قال: أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين وأقام عمود الدين إذ اعوج ولن نقتبس إلا من نوره, وزيد إمام الأئمة اهـ

ويذكر الإمام زيد بن علي –عليهما السلام- أن الوالي الظالم كل ما دعا دعوةً لعنته الملائكة جميعا

وله كلام كثير في هذا الفن اكتفينا بما نقلناه هنا وبما قدمناه في بحث [«كلام العلماء والأئمة»] عنه وعن غيره من الأئمة.

وللإمام الهادي –عليه السلام- كلام عظيم في خطبه ورسائله بوجوب قتال الظالمين وإخافتهم وحل دمائهم. وكلامه وأقواله تشابه كلمات الإمام زيد بن علي –عليهما السلام-

ولا غرو فالمنبع واحد والمنهاج متحد فهما أئمة الأئمة ومن أحيا الله بهم العباد من سنى الغفله وطهرهم من ولاة السوء الفجرة.

العالم المقبلي ينفي الإجماع المزعوم

وقد أثنى العلامة المقبلي –رحمه الله- على أئمة العترة القائمين بالقسط بين الناس الخارجين على الطغاة الظالمين ثم قال: ولكن حرم خيرهم –أي آل محمد- من يحكم للجبابرة بالخلافة ويسميهم خوارج!! وكما قال بعضهم: ما قتل الحسين إلا بسيف جده!!.

وقال: حذوا[1] أبائهم, وإنما أدركت الشقاوة أعدائهم فمن حضر عداوتهم وحربهم فقد حضر, ومن غاب فهو يستدرك ذلك بالتضعيف والعبارات الشاهدة على شدة العداوة والبغض.

وقال: وأعجب من هذا كله ما ادعاه حثالة المتأخرين أنه انعقد الإجماع[2] على تحريم الخروج على أهل الجور, يعني وأما في وقت الحسين وأهل الحرة فلم يكن إجماع!!

فحين لم يشفهم سبهم أخرجوهم من أمة محمد –صلى الله عليه وآله وسلم- لأن كل من صدق عليه أنه من لأمة محمد –صلى الله عليه وآله وسلم- فهو معتبر في الإجماع عند من عقل معناه الشرعي.

على أن هؤلاء النوكى يصرحون أن معرفة الكتاب والسنة قد استحالت, فكيف يكون الإجماع من الجهال!! ظلمات بعضها فوق بعض, إنما أرادوا أن يجيبوه –صلى الله عليه وآله وسلم- حين قال «إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا, إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض, فأنظروا كيف تخلفوني فيهما»

ورواياته مع شواهده متواترة معنىً

فأجاب هؤلاء: نخلفك فيهم بشر خلافة من قدر على السيف فبسيفه, ومن لم يقدر فبلسانه وقلبه, ومن تأخر زمانه كتاريخنا تناول بعداوته الأولين والأخرين فكان أعمهم جناية والله المستعان[3].

توسعات المقبلي

وقال العلامة المقبلي –رحمه الله- في تفسير قوله تعالى (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي): إن البغي نوع من أنواع المنكر ودفعه صورة من صور دفع المنكر

---

(1) أي حذو ابائهم.
(2) كالنووي وأضرابه
(3) الأبحاث المسدده [304-307]

وقال: فقاتلوا التي يتوقع بغيها.... وهذا مطرد في جميع أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, مع الباغي وغيره من ملابس سائر المنكرات.

وقال: فإذا وجدنا رئيساً ما يظلم من تحته فهو بذلك باغ, يجب دفع ظلمه ذلك بشرط أن لا يقع بسببه منكر أخر كظلم أهل محلة الرئيس وغيرهم.

قلت: لايجوز أن يُعتدى على أحد ما لم يكن من أعوان الباغي وأنصاره فحكمهم حكمه وهذا ظاهر.

وأيد العلامة المقبلي أهل الحرة في الخروج على الظالم قائلاً: وأهل الحرة-رضي الله عنهم- وكانوا سبعمائة من الصحابة بدون سائر من معهم, دفعوا عن بلدهم لأنه باغ بن باغ وليس له حق في الخلافة –كما أنه لا حق لأبيه- عندهم[1] لأنهم لم يكونوا قد تمذهبوا بمذهب هؤلاء الذين ينزلون الجائر منزلة المجتهدين.

قلت: هذه والله حقيقه لا جدال فيها فقد أنزلوا الظلمة المجرمين من ولاة الجور وأئمة الفساد منزلة أولياء الله المجتهدين ورحم الله المقبلي إذ كشف لنا أن المنع من الخروج على الظالمين ولاة الجور سببه التمذهب المحدث الذي لم يكن له أصل, ولعمري لقد صدق فيما قاله

وقال المقبلي: إن الحسين –عليه السلام- ما خرج حتى ظن أنه قد قدر على دفع أعظم المناكير من أشر الناس يزيد ولم يتفق من الحسين شيء يخالف الأمر بالمعروف ودفع المنكر

قلت: يعني أن من وجد الناصر وجب عليه الخروج وظن التأثير وغلب عنده القدرة على الدفع

ويؤكد ذلك قول المقبلي: وأما أهل البيت فغالبهم الصلاح وحسن السيرة فإنهم إنما يفعلون في الغالب لا سيما الأوائل كما فعل جدهم الحسين –قدس الله روحه- يجتمع جمهور يظنون أنه حصل باجتماعهم القدرة على دفع منكرات الجبابرة كما قال جدهم –كرم اله وجهه-: لولا حضور ووجوب الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها, ولسقيت أخرها بكأس أولها.

فيتطهوون بدون ملابسة منكر ولا هتك حرمة فيجيئهم جيش العدو فيبرزون لهم حتى يحكم الله بينهم, كما روي من فعل زيد بن علي وولده يحيى بن زيد ومحمد بن عبد الله النفس الزكية وقد بايعهم خلايق وأفتى العلماء بنصرتهم كأبي حنيفة ومالك

وقال: وقالت إمراءة لابي حنيفة: أنت قتلت ولدي. أفتيته

فقال أبو حنيفة: ليتني مقام ابنك.

وكذلك سائر المتقدمين من أهل البيت

---

[1] عندهم وعندنا وعند كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الأخر

ثـم ذكـر إبـراهيم بـن عبـد الله والقاسـم بـن إبـراهيم والهـادي وأولاده والناصـر الأطروش وأيد قتالهم ضد أعداء الله وقـال: ومـن يطـول تعداده وسيرهم معروفـة في تاريخهم من كلام شيعتهم ومن كلام العامة[1].

ثناء الله على القائمين بأمر الله العلي الأعلى

فالقائم بالأمر بالمعروف, والناهي عن المنكر المخوف, المغير للفساد فـي الأرض القائم بالقسط –أي بالعدل- بين الناس هو ذلك الذي أثنى الله عليه في كتابـه وسـنة نبيه –صلوات الله وسلامه عليه وآله-. وقد تقدم الثناء عليهم عند ذكر أدلة وجـوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وهنا نشير على سبيل الإجمال والإختصار.

قال الله سبحانه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت:33]

وقال الله تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [النحل:76]

بل رفع الله شأنهم وجعل قاتل الأنبياء مع قاتل من يـأمر بالعدل ويدعو إليـه فقـال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [آل عمران:21]

وقال سبحانه وتعالى (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) [الرعد:21]

وقد مدح الله الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر بالفوز والفلاح حيث قال جلت قدرته (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وقال (وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ) وقال الله تعالى (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وقال سبحانه (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)

وقال جل وعلا (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)

وكفـى أنهم النـاجون مـن عـذاب الله وذلك قولـه تعـالى (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ)

فالخاسر من ناله عذاب الله وسخطه وكفى أن الأيات القرآنية كثيرة في الثناء على أئمة الدين والحق.

سنة المختار تثني على القائمين بالعدل

وقد جاء في صحاح سنة النبي الأطهر –صلوات الله عليه وآله وسلم- فـي الثنـاء على الأمرين بالمعروف الأكبر الناهين عن المنكر

---

[1] راجع هذا كله في الأبحاث المسددة [490-495]

ومن ذلك قوله –صلوات الله عليه وآله «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»

أو قال «أمير جائر»

وعنه –صلوات الله عليه وآله «سيد الشهداء عمي حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»

وعنه –صلوات الله عليه وآله- «من أمر بمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه» وقد رواه الإمام الهادي –عليه السلام- في الأحكام والمتوكل على الله في حقائق المعرفة وتخريجه في الإعتصام

وعنه –صلوات الله عليه وآله- «من قتل دون دينه فهو شهيد»

وعنه –صلوات الله عليه وآله وسلم- «من دعا إلى هدى كان له الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا»

وغير هذه الأخبار كثيرة وقد تقدم تخريج هذه الأحاديث وبيان صحتها والحمد لله أن هذه الأحاديث توافقت مع أيات القرآن الكريم وهذا هو المعقول في الدين المقبول من المنقول في سنن سيد المرسلين –صلوات الله عليه وآله وسلامه-

وكفى شرفاً وسؤدداً عند الله لمن خرج على ائمة الجور ودعاة الظلم وأنصار الفساد أنهم سادة الشهداء مع الحمزة بن عبد المطلب –عليه السلام-

فإذا كان المؤمن يبحث عن الشهادة ونيلها فإن جهاد الظالمين وقتالهم والإستشهاد في هذه المواقف هم سادة الشهداء

فكن سيداً للشهداء ومع سادات الشهداء والعظماء (مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [النساء:69]

ايات دالة على وجوب القتال

فإن الله سبحانه لم يفترض فريضة مثل الجهاد في أفضل ما افترضه الله على عباده ولم يفصل الله في القرآن الكريم في أي فريضه كما فصل في الجهاد لانه لولاه ما قامت لله عبادة ولا طاعه (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج:40]

(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [البقرة:251]

وهنا سنستعرض بعض الآيات الدالة على القتال ووجوبه, قال الله سبحانه (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة:216]

وقال تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) [البقرة:190, 191]

وقال الله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) [البقرة:193]

وقال الله تعالى (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) [النساء:84]

وقال سبحانه (وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة:35]

وقال الله عز وجل(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الأنفال:39]

وقال عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) [الأنفال:65]

وقال سبحانه (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [التوبة:41]

وقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [التوبة:123]

وقال تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) [التوبة:29]

وقال جل وعلا (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) [التوبة:73]

وقال تعالى (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) [التوبة:14, 15]

وقال سبحانه (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) [آل عمران:142]

وقال الله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) [التوبة:16]

وقال تعالى (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) [النساء:104] وقال الله سبحانه (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [النساء:95, 96]

وقال (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء:76] وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة:218]

وقال سبحانه (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) [البقرة:190]

الجهاد في السنة النبوية

وجاء عن النبي المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلم أنه قال «الجهاد سنام الدين[1]»

وفي لفظ «ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله لا يناله إلا أفضلهم»

وعن مولانا أمير المؤمنين زيد بن علي عن أبائه عن النبي –صلوات الله وسلامه عليه وآله- قال «أقرب الناس مني موقفا يوم القيامة بعد حمزة وجعفر وعلي من خرج بسيفه على إمام جائر فقاتل فقتل» وقد خرجنا نحو هذا الخبر الشريف فيما تقدم

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «ما اغبرَّت قدما عبدي في سبيل الله فطمعت فيه النار[2]»

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا[3]» وفي لفظ: من الدنيا وما فيها

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم «ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله, والناكح يريد العفاف, والمكاتب يريد الأداء[4]»

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «من سهر ليلة في سبيل الله فله عند الله من الثواب مالا يقدر أحد أن يصفه من أمتي ومن خدم المجاهدين يوماً فله عند الله ثواب عبادة عشرة الآف سنة»

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «الجنة تحت ظلال السيوف[1]»

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله مابين كل درجتين مابين السماء والأرض[2]»

وقد جاء في الصحيح عنه –صلوات الله عليه وآله- «من مات ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على شعبة من النفاق»

وغيرها.

فضل الشهيد في القرآن

أما الثناء على الشهيد ففضل عظيم وثناء كريم جاء من عند الكريم الله الغفور الرحيم

---

[1] اخرجه الطبراني في الكبير وصححه السيوطي في جامعه

[2] أخرجه البخاري وابن عساكر وغيرهما

[3] اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد وابن حبان والنسائي وأبو يعلى وسعيد بن منصور عن عدة من الصحابة منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وابو هريرة والزبير بن العوام.

[4] اخرجه الحاكم في المستدرك والنسائي والبيهقي في السنن وغيرهم

[1] الحاكم والبيهقي وغيرهما

[2] البخاري وأحمد وابن حبان وغيرهم

ومن ذلك ما يقول الله جلت قدرته (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) [البقرة:154]

وقال سبحانه يمدح الشهداء بعد ذم المنافقين (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) [آل عمران:168-171]

وقال سبحانه (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [آل عمران:157]

وقال تعالى (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) [آل عمران:195]

وقال سبحانه وتعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا) [النساء:69, 70]

وقال سبحانه (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء:74]

وقال عز وجل (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة:111]

وقال سبحانه وتعالى (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ) [الحج:58, 59]

وقال سبحانه وتعالى (وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد:4-6]

فضل الشهيد في السنة

وبعدما ذكر من الأيات الدالة على فضل شهداء ومزيد الحسنى لهم والدرجات العلى فإن السنة الغراء قد أوضحت فضلاً عظيما وخيراً كثيراً ورغبت النفوس المؤمنه للقاء الله في مواطن الشهادة وتلك سعادة:

فعن أمير المؤمنين علي –عليه السلام- عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «للشهيد سبع درجات:

فأول درجة من درجاته: أن يرى منزله من الجنة قبل خروج نفسه ليهون عليه ما به.

والثانية: أن يبرز له زوجته من حور الجنة فتقول: أبشر يا ولي الله فما عند الله خير لك مما عند أهلك.

والثالثة: إذا خرجت نفسه جاءته خزنة من الجنة فتولوا غسله وكفنوه وطيبوه من طيب الجنة.

والرابعة: أن لا يهون على مسلم خروج نفسه مثلما يهون على الشهداء.

والخامسة: أنه يبعث يوم القيامة وجرحه يشخب مسكاً فيُعرف الشهداء برائحتهم يوم القيامة.

السادسة: أن ليس أقرب من عرش[1] الرحمن من الشهداء.

والسابعة: أن لهم في ك لجمعة زورة فيحيون تحية الكرامة ويتحفون بتحفة الجنة فيقولون: هؤلاء زوار الله[2]»

وفي لفظ «للشهيد عند الله سبع خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده في الجنة ويحلى حلة الإيمان ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويؤمَّن الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته[1]»

وعن أنس أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «ما من أحد يدخل الجنة فيحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما في الأرض إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة[2]»

وعنه –صلى الله عليه وآله وسلم- قال «زملوهم بثيابهم ودمائهم يعني الشهداء فإنه ليس من كَلْمٍ[3] في سبيل الله إلا يأتي يوم القيامة بدم لونه لون الدم وريحه ريح المسك[4]»

ذم المتخاذلين عن الجهاد وذكر صفاتهم السيئة

وقد جعل الله المتخلفن عن الجهاد من المنافقين الضالين ونكتفي في ذمهم ببعض أيات القرآن.

فقد أمر المجاهدين بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا) [النساء:71]

---

(1) يعني أقرب الناس لحكم الله ونيل رحمته ويؤمن من الفزع يوم القيامة.
(2) رواه الإمام الأعظم زيد بن علي (ع) في المجموع الشريف والإمام ابو طالب في أماليه
(1) اخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة.
(2) اخرجه الإمام ابو طالب (ع) في أماليه وهو في شمس الأخبار للقرشي وفي تحقيقه قال: اخرجه ابن زنجويه وابن حبان.
(3) الكلم: بفتح الكاف وسكون اللام هو الجرح.
(4) اخرجه ابو العباس الحسني (ع) وفي شمس الأخبار وأخرجه النسائي والبزار وأبوداود الطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وقال: حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان والحاكم في المستدرك والضياء في المختارة. هكذا في التحقيق باختصار

ثم قال بعدها (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا) [النساء:72, 73]

فترى المتثاقل عن الجهاد إذا وقعت الشهادة للمؤمنين يظهر دعوى الفوز فهو يقول: قد أنعم الله علي إذ لم اكن معهم شهيدا

هل يحمد أنه لم يكن شهيدا؟!

النعمة العظمى في الشهادة في الفوز بالجنة.

وهذا استهزأ وسخريه به كأنه يقال له علي ما تفرح أنك لم تكن مع الشهداء!!

وقال سبحانه وتعالى (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبة:38, 39]

وقال الله تعالى (لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [التوبة:42]

وقال تعالى (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [التوبة:46, 47]

ويقول الله عنهم (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) [التوبة:49, 50]

يجيب الله سبحانه وتعالى عليهم (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) [التوبة:51, 52]

ومن المنافقين الذين يتخاذلون عن الجهاد ويكذبون من وصفهم الله بقوله (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) [التوبة:56, 57]

ويقول الله سبحانه (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [التوبة:96]

وذم الله أولئك المنافقين الخائفين على حياتهم بقوله (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) [الأحزاب:16, 17]

بلغ الحال بالمنافق الذي يريد التمتع بالحياة الدنيا لا الأخرة أن يتمنى أنه لا يعرف احداً من الناس بل يتمنى أنه ينظر إليها من بعد ولو لم يعرف الإسلام قال الله سبحانه وتعالى (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) [الأحزاب:20]

والقرآن الكريم يكشف حالهم وشبههم وكل من خذل عن الجهاد (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ)

ونكتفي بهذا القدر من الأدلة هنا ولله الحمد

والمنافقون كثير والإعتذار كذباً (إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) [الأحزاب:13]

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) [التوبة:49]

معرفة الله ضد كل سخرية وسذاجة

تضل سخرية تحتاج العقول وتغطي عليها بالأغلفة, والإقتناع بمثل تلك السخرية والسذاجة مؤدية إلى الكسل وحب الدنيا الدنية والفتور والهلاك.

تلك السخرية تتمثل في أنك وإن اقتنعت بقتال أئمة الجور والطغيان لن تستطيع الإنتصار عليهم لما يملكون من قوة وكثرة عددٍ في الرجال وإمكانية الزاد فلو كنت ستنتصر -وهو عند المروجين للسخرية محال– فاخرج وليس عليك وبهذا يعدون أنفسهم نصحاء.

فلا تغتر بهم (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) [البقرة:11, 12]

وإذا كان قائل هذه السخافة يعتقد ما يلقيه نصيحة فليعتقد في الله.

إنك تهول علينا –كمجاهدين- قطع أرزاقنا, معاشاتنا, رخائنا ....الخ من أمور هذه الدنيا.

وأنت لا تعرف أن الله هو الرازق؟ بلى. ولتعتقد ذلك كل الإعتقاد

(نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) [التوبة:67] (نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) [الحشر:19]

لتعرف الله وتعظمه تأمل فيما يلي:-

(قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) [المؤمنون:88]

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [النحل:17]

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) [الأنعام:46]

(يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) [الحج:12]

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) [الحج:61]

(لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [الحج:64]

(وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ) [الحج:66]

وكرر الله تعالى ثبوت إنزال المطر منه (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [المؤمنون:18, 19]

فترى أن ذلك بيد الله لا بأيديهم.

(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [المؤمنون:78]

(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) [المؤمنون:84-89]

(قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ) [الأنبياء:42, 43]

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات:58]

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [فاطر:2]

ترى أن كل شيء بيد الله, فالله هو الرازق هو القادر هو الناصر هو الهادي هو الحكيم

هو المدبر بيده ملكوت السماوات والأرض وما بينهما,

هو القوي المتعالي الجبار.

فلنستمسك بحبله ونلتجئ إلى قدرته وعظمته. ولننغذ أوامره وأحكامه ونجاهد في سبيله,, وإن كان ما كان. إذا كنت مع الله كان الله معك.

«أفأمنوا مكر الله»؟!!

من هو الضار النافع؟ هو الله

تمسك به إذاً فتلك نعمةُ عليك ظاهرة سابغة لانشرك بالله أحدا ولا نلتجئ إلى أحد أبدا إنما الرجوع والإستجاره إلى من بيده الحول والقوة إلى الخلاق المنعم.

تمسك بالله (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) [يونس:106, 107]

والقائل (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) [هود:6]

(اللَّـهُ يَبْسُـطُ الـرِّزْقَ لِمَـنْ يَشَـاءُ مِـنْ عِبَـادِهِ وَيَقْـدِرُ لَـهُ إِنَّ اللَّـهَ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِـيمٌ) [العنكبوت:62]

النصر والمدد الإلهي

إذاً سنعرف الله ونتّبع أياتـه ونلتـزم أحكامـه ونعـادي ونجاهـد كـل مـن سـعى فـي خـراب ديـن الله, فـي إضـاعة أحكـام الله (يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آَمَنُـوا لَـا تَتَّخِـذُوا عَـدُوِّي وَعَـدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ) [الممتحنـة:1] وآيـات المـودة والمعـادات فـي القـرآن فـاقرأ وتأمـل وطبق والتزم.

فـإذا رجعنـا إلـى الله وأمنـا بـه ربـاً واحـداً لا شـريك لله, هنـا سـنعرف أن مـا يلقيـه المنافقون سذاجه وليست بنصيحة.

يقولـون عـدوكم الظـالم الغشـوم سيقطع أرزاقكـم فـإن أجبتمـوهم فـي الضـلال وإلا ذهبوا إلى عدوكم فقالوا إقطعوا رواتبهم وسيعودون إليكم ومـا أشـبه هـؤلاء بـل هـم هم فيما حكا الله عنهم (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُـونَ لَـا تُنْفِقُـوا عَلَـى مَـنْ عِنْـدَ رَسُـولِ اللَّـهِ حَتَّـى يَنْفَضُّـوا) [المنافقون:7]

ربنا تعـالى يجيـب علـيهم فـي الآيـة نفسـها قـائلاً (وَلِلَّـهِ خَزَائِـنُ السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَـا يَفْقَهُـونَ) [المنافقون:7]

فمن فهم أن الله هـو المالـك الـرازق فسيقتنع ويسـتيقن بـأن مـا يقولـه المنـافقون هـو حرب لله ولرسوله وللإسلام وأنصاره

ولــذلك وصــفهم الله بقولــه (هُـمُ الْعَـدُوُّ فَاحْـذَرْهُمْ قَــاتَلَهُمُ اللَّــهُ أَنَّــى يُؤْفَكُــونَ) [المنافقون:4]

إذاً فالله قد عرفنـا مكـر هـؤلاء وضـلالاتهم وأمـد الإسـلام, أمـد أهلـه بالنصـر بـالعون منه تعالى والتوفيق والإضاعة لأعداء الدين والمحاربين للإسلام والمسلمين

النصر بيد من؟! والمدد لمن؟! وممن؟!! وعلى من؟!

وإذا كان ما ذكرناه من شبه المنافقين التي لا يغتر بها وبهم مؤمن عرف الله تعالى فلنوضح البيان أكثر في دعوى المنـافقين أن النصـر حليـف العـدد والكثـرة وحليـف السيطرة الظالمة والقوة.. وذلك لعدم الإيمان بالله وباليوم الأخر فـالخير كـل الخيـر في الجهاد في سبيل الله ورفع رايـة الـدين والقـوة قـوة الله سبحانه وتعـالى والنصـر بيد الله ولنورد الأدلة القرآنية القاطعة بذلك

قال الله سبحانه (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّـهُ فِـي الدُّنْيَـا وَالْـآَخِرَةِ فَلْيَمْـدُدْ بِسَـبَبٍ إِلَـى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) [الحج:15]

فقد جعل الله تعالى أن من لم يعتقد أن الله هو الناصـر وأن النصـر مـن عنـده فلـيس عليه إلا أن يشد الحبـل ويشـنق نفسـه مـن الغـيظ الـذي ران علـى قلبـه والمعنـى أنـه لـيس لـه أي برهـان يصـرفه إلـى أن النصـر لـيس مـن الله تعـالى الله عمـا يقـول الظـالمون.

فالناصر الله والنصر من عنده

وكفى ما أخبر الله سبحانه به عن طالوت ومن معه (قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) [البقرة:249]

فالميقنون هم الذين عرفوا الله هم الذين يوقنون بلقائه وهم الذين يعلمون يقيناً أن النصر من عند الله ليس على الكثرة ولذلك أيدهم الله تعالى (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ) [البقرة:251]

وقال الله تعالى (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) [آل عمران:13]

وقال عز وجل (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) [آل عمران:111]

وقال سبحانه (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [آل عمران:120]

وقال سبحانه (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [آل عمران:123]

وقال تعالى (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) [آل عمران:126]

وقال سبحانه وتعالى (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران:160]

وقال سبحانه (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال:10]

وقال سبحانه وتعالى (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال:17]

وقال تعالى معلماً ومرشداً لنا ومؤيدا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال:45, 46]

وقال الله سبحانه (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) [الأنفال:62, 63]

وقال الله سبحانه يبين النصر المؤيد منه وأن العدد لاينفع (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ) [التوبة:25, 26]

وقال سبحانه (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [الروم:4, 5]

وقال جل وعلا (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم:47]

وقال سبحانه وتعالى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [الحج:39]

وقال سبحانه (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [الحج:40]

وقال عز سلطانه (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) [الحج:60]

كفى بهذه الأيات الكريمة فالمنافق المبتعد عن آيات الله سينسى أو يتناسى ويغفل أو يتغافل عن هذه القوارع القاطعه فلذلك أمر الله نبيه بأن يجاهد أعداء الدين بالقرآن فقال جل وعلا (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) [الفرقان:52]

هذا هو الدين هو الإسلام هو لمن يريد الله واليوم الأخر وأيقن بالرجوع إلى الله وطلب الفوز بالجنة والنجاة من النار(وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)[آل عمران:198]

الخاتمة

لا جرم أنها الحقيقة وأن دعوة الإسلام لن تسود على سائر الأديان ويهيمن كتاب الله على كل كتاب وقانون إلا إذا تمسكنا بتلك الحقيقة التي ضمّناها مؤلفاً هذا... تلك أُخيّ سعادة ما بعدها سعادة ونجاة من النار وفوز بجنة عدن التي وعد ربي.

لن ولن تكون آمالنا حقيقة وأفكارنا سليمة وطريقتنا سديدة رشيدة إلا بالإيمان الكامل باليوم الأخر

إذا كنت مؤمن باليوم الأخر وشدته والنار خزيها ولهيبها وحميم شرابها وغسلين طعامها, وحر لهيبها محاطة بسرادقها وذلكم هو الهول المهيل, وكأنك تراها بين يديك, هناك ستنجح في عملك في أداء مهمتك

فالله سبحانه يقول لك (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ) [الإنفطار:6-8] ما هو سبب الغرور, ما هو الشيء الذي صرفك عن عبادة ربك؟! ما الشيء الذي أنساك طاعة ربك؟ وهو الخالق لك الرازق الباسط المانع المعطي ـ السبب أيها الإنسان يبينه ربكم لكم فيقول سبحانه (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) [الإنفطار:9]

الذي ألهاكم وغركم وصرفكم هو تكذيبكم بيوم الدين

لأنك إذا آمنت بيوم تسأل فيه عما تكلمت به, عما بطشت به, عما مشيت إليه, لك كتاب خاص. (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:18] وقال عز سلطانه حاكياً الحال عن الحسرة (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) [الكهف:49]

قف وتأمل لقوله (إِلَّا أَحْصَاهَا) (إِلَّا أَحْصَاهَا) (إِلَّا أَحْصَاهَا)

هناك تتحسر حينما تسمع الحقيقة (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف:49]

اسمع الحكمة من حكيم حكاها لنا الحكيم العليم (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) [لقمان:16]

والله ربنا الكبير المتعال يقول (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [الزلزلة:7, 8]

وإذا كانت الذرة هي ما لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة, فماذا سنقول؟!!

وقد صمت اللسان (هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) [المرسلات:35, 36]

وشهود ربك عليك جوارحك (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النور:24]

وشهود ربك عليك ملائكته (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) [ق:21, 22]

اللهم سلم سلم, اللهم ارحم اللهم ارحمنا يا ربنا يا ربنا

إذا كنت تنسى أو تتغافل عن يوم القيامة وأهواله بحطام دار الفناء فتذكر معي:

من خلقك من العدم؟

من أوجدك وسوَّاك وأنت نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم خلق لك عظامك وكسى العظام لحما

(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون:14]

روي أن النظر بن الحارث جاء إلى رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم- وفي يده عظام رجل ميَّت بالية ففتها بيده فإذا هي رميم, ثم قال يا محمد: من يحيي هذه العظام وهي رميم. انظر إلى القرآن يعالج ذلك قائلاً (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) بهذه العظام الباليه (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) نسي أنه موجود من العدم وأما هذه فهيكلها قد وجد, وماذا قال هذا المغفل (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [يس:78]

أجاب ربي عز سلطانه عليه (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس:79] صدق الله (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة:4]

تذكر معي: أن الله (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) [الروم:19]

سبحان الله ينزل الماء على أرض ميتة فيحييها ويخرج الزرع والحب من حبوب ميتة إن في ذلك لآية.

وهذه آية في خلقك يابن آدم كافية تشاهدها وتحتاج إليها. (وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ)

تذكر معي: تلطفات ربانية عظيمة ويغرز الحكمة ويغرسها في قلبك فلا تكن من الغافلين, اسمع كيف يقول ربنا سبحانه (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) [القيامة:36] هكذا يعيش ليأكل ويشرب ويشتهي كالأنعام بل أضل لفوائد الأنعام ونفعها في الحياة, ثم يموت ويذهب دون حساب ولا عقاب ولا انتصاف مظلوم من ظالم. كلا. كلا. (إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) [الذاريات:23] وكيف يكون سدى ويترك هملا بعد العقل الذي ركب فيه والنظر الثاقب الذي أعطيه؟!!

لأن الإنسان لم يفكر في إيجاد خلقه كيف كان؟!

(أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) [القيامة:37-39]

أبعد هذا كله لا تقتنع نفسك بالبعث للحساب, فهذا كاف ويكفي أقلّه والله أحكم حيث قال (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) [القيامة:40] ؟!! بلى, بلى إن ربنا على كل شيء قدير

تذكر معي: أن الله أمات عزيراً ثم أحياه بعد مائة عام وجعله عبرة وقصَّ علينا ذلك أصدق الصادقين (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) [النساء:122]

(وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) [النساء:87] في أصدق الكتب وأرفعها وأشرفها وأتمها في كتاب (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) [فصلت:42] قصها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم, وكفى بها عبرة وآية. وكم, وكم, وكم, وكم, ...

خف عبد الله أن تكون ممن يدعون الإيمان بالله وباليوم الأخر وهم معرضون, لأن العمل هو البرهان لأننا إذا اخفنا شدة العذاب وصدقنا وقوعه فسنعمل ما يبعدنا عنه (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) [الأنبياء:28]

(وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) [الرعد:21]

(يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [النور:37]

(إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) [الإنسان:10]

فجدوا في العمل وسعوا حتى أحبوا لقاء ربهم كما أحب الله لقائهم لذلك قال الله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف:110]

فهذا الشرط بالعمل الصالح وإخلاص العبادة لله هو الذي جعل المحبة للقيامة في نفوس المؤمنين حينما يبعثهم الله آمنين (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آَمِنُونَ) [النمل:89]

(لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [الأنبياء:103]

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) [فصلت:30]

(فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) [الإنسان:11-13]

تلك هي السعادة التي تتحقق في الأمر بالمعروف والنهي عن النكر التي تختم بالنصر والفرج أو بحسن المخرج ونيل الشهادة...

لا تكن غافلاً, أو ناسياً, أو صراع الحياة الفانية يذهب عنك الحياة الباقية..

لابد أن تجعل النار بين عينيك في كل عمل لتحذر والجنة نصب عينيك في كل عمل لتطمع وتسعد وترغب بحياة لا همَّ فيها ولا كدر, ولانصب ولا تعب.

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة:105]

فاستمسكوا بدين الهداية والنجاة ودافعوا عنه وانشروه فمن وقف ضده فهو ضد الدين اياً كان صغيراً أم كبيراً, فلا حرمة لأحد إلا بالدين وتطبيقه يقول الله في كتابه العزيز لأدم وإبليس (اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) [طه:123-126]

هذا هو الدين الذي شرعه الله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) [الشورى:13]

وأما من يتخبط ويغيّر شرع الله ويعمل بالقوانين الوضعية ولا يحل ما أحل الله أو يحل ما حرم الله فقد شرع ما لم يأذن به الله فوجب جهاده والخروج عليه (شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) [الشورى:21]

بل يزيد بعضهم في الظلال فيجعل ما يفعله مما يخلف الشرع حلالاً وشرعاً وديناً كذباً منه وزوراً (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران:75]

(يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) [المائدة:103]

(تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) [الأنعام:93]

ومما يغتر به الإنسان كثرة أموالهم وأولادهم وعلو سلطانهم (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) [التوبة:55]

(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [آل عمران:196, 197]

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [آل عمران:178]

أخي المؤمن: لا تكن ممن تابع المحاربين للدين الذين لا يهمهم رفعته وعزته بل عزة سلطانهم وكراسيهم فتكن عليك حسرة يوم القيامة

وهل ينفعك الولاء لهم فهم سيتبرؤن منك حينما نفذت أقوالهم وأفعالهم ونصرتهم بدعوى أنهم الملوك وكل شيء بأيديهم لئلا تموت وتهلك أنت وأهلك واسمع لكثير من الأيات وهي تملى حول هؤلاء الشركاء والتي نذكر بعضاً منها

(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) [البقرة:166]

(رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) [الأحزاب:67, 68]